ق والقرآن المجيد

مجلة فصلية تهتم بالشأن القرآني تصدر عن
قسم الشؤون الفكرية والإعلام في العتبة الكاظمية المقدسة
العدد ٥٣/ الفصل الثالث / السنة الخامسة/ ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

قال رسول الله ﷺ:

أهل القرآن في أعلى درجة من الآدميّين ما خلا النبيّين والمرسلين،
فلا تستضعفوا أهل القرآن وحقوقهم، فإنّ لهم من الله لمكاناً

قسم الشؤون الفكرية والإعلام
العتبة الكاظمية المقدسة
مجلة فصلية تهتم بالشأن القرآني
العدد ٥٣ - الفصل الثالث
السنة الخامسة/ ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية
ببغداد (١٨٤٧) لسنة ٢٠١٣
زورونا: www.aljawadain.org

١٤

٨ اكتشاف أقدم نسخة من القرآن واحتمال نسبتها إلى الإمام علي عليه السلام
١٢ أبعاد التنمية في القرآن الكريم
٢٠ الحثُّ على الصَدقة
٢٨ الإمام علي عليه السلام من منظور القرآن الكريم
٣٠ السيدة رحمة شريكة الصبر والمعينة على البلاء
٣٦ أداءُ الأمانةِ مطلبٌ قرآنيٌّ

رئيس التحرير
الشيخ عدي الكاظمي

سكرتير التحرير
الشيخ نجم عبد الرضا

السلامة الفكرية
الشيخ عماد الكاظمي

التدقيق اللغوي
مهدي جناح الكاظمي

التصميم والإخراج الفني
عبدالله جاسم محمد

كلمة العدد

موانع فهم القرآن

من الغايات التي نصّ عليها القرآن الكريم هو التدبّر، بل هو الغاية من إنزال القرآن الكريم ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾. وقد قسّم القرآن الكريم القلوب إلى قسمين: قلب متدبّر للقرآن والثاني قلبٌ مقفل ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾، والتدبّر هو الطريق الذي يوصل إلى فهم مراد القرآن ليتسنّى تطبيقه والعمل وفقه، وفي كلّ مجالات العقيدة والشريعة والأخلاق والمفاهيم وغيرها؛ وهي كثيرة ومتنوعة بدءاً من توحيد الله وصفاته وانتهاءً بمثل آداب الطعام والشراب وغيرها. ومما يساعد على التدبّر الابتعاد عن موانع فهم القرآن، والتي منها التأكيد الزائد على مخارج الحروف والتحسينات الصوتية المبالغ بها، ومنها قراءة القرآن مع حمل الموروثات الثقافية ومحاولة التقاط ما يمكن أن يكون دليلاً قرآنياً على هذا الموروث، ومنها الإصرار على الذنوب، فإن ذلك حاجب لجميع العلوم وللقرآن خاصة. فبقدر طهارة الإنسان من الذنوب يكون قريباً من فهم القرآن، ومن الموانع لفهم القرآن الإعجاب باتجاه تفسيري أو مفسر معيّن، والاعتقاد بأن ليس بعد تفسيره تفسير.

وبعبارة أخرى مختصرة نقول أن التدبّر للقرآن وفهمه إنما يمثل إنعكاس القلب والنفس كالمرآة، فكلّما كانت المرآة صافية غير ملوثة كان الإنعكاس أكثر وأوضح وأوسع، وكلّما كان القلب مشوشاً وملوثاً كانت الإنعكاسات قليلة أو معدومة والعياذ بالله.

سكرتير التحرير

علوم القرآن الكريم
في تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي

معنى الوحي وأقسامه

*معنى الوحي: قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾[1] إلى آخر الآية، الإيحاء هو التكليم الخفي، ويستعمل في القرآن في تكليمه تعالى بعض خلقه بنحو الإلهام والإلقاء في القلب كما في قوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها﴾[2]، وقوله: ﴿وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[3]، وقوله في أم موسى: ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى﴾ الآية أو بنحو آخر كما في الأنبياء والرسل، وفي غيره تعالى كما في قوله: ﴿إِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ﴾[4][5].

١- سورة القصص، الآية٧.
٢- سورة الزلزال، الآية: ٥.
٣- سورة النحل، الآية: ٦٨.
٤- سورة الأنعام، الآية: ١٢١.
٥- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، ج١٦، ص: ١١.

*أقسام الوحي قوله تعالى: ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[6].

تتضمن الآيات آخر ما يفيده سبحانه في تعريف الوحي في هذه السورة، وهو تقسيمه إلى ثلاثة أقسام: وحيًا، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولًا فيوحي بإذنه ما يشاء، ثم يذكر أنه يوحي إليه ﷺ ما يوحي، على هذه الوتيرة، وأنَّ ما أوحي إليه منه تعالى لم يكن النبي ﷺ يعلم ذلك من نفسه، بل هو نور يهدي به الله من يشاء من عباده، ويهدي به النبي ﷺ بإذنه.

قوله تعالى: ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ﴾ إلخ، ...إطلاق الكلام على كلامه تعالى، والتكليم على فعله الخاص، سواء كان إطلاقًا حقيقيًّا أو

٦- سورة الشورى، الآية ٥١.

مجازيًّا واقع في كلامه تعالى قال: ﴿يا مُوسى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسالاتِي وَبِكَلامِ﴾[٧] وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً﴾[٨]، ومن مصاديق كلامه ما يتلقاه الأنبياء عليهم السلام منه تعالى بالوحي. وعلى هذا لا موجب لعد الاستثناء في قوله: (إِلَّا وَحْياً) منقطعا، بل الوحي والقسمان المذكوران بعده من تكليمه تعالى للبشر سواء كان إطلاق التكليم عليها إطلاقًا حقيقيًّا أو مجازيًّا، فكل واحد من الوحي، وما كان من وراء حجاب، وما كان بإرسال رسول نوع من تكليمه للبشر. فقوله: (وَحْياً) والوحي الإشارة السريعة على ما ذكره الراغب مفعول مطلق نوعي، وكذا المعطوفان عليه في معنى المصدر النوعي، والمعنى: ما كان لبشر أنْ يكلمه الله نوعًا من أنواع التكليم، إلا هذه الأنواع الثلاثة: أنْ يوحي وحياً، أو يكون من وراء حجاب، أو أن يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء، ثم إنَّ ظاهر الترديد في الآية بأو هو التقسيم على مغايرة بين الأقسام، وقد قيد القسمان الأخيران بقيد كالحجاب، والرسول الذي يوحي إلى النبي ولم يقيد القسم الأول بشيء فظاهر المقابلة يفيد أن المراد به التكليم الخفي من دون أن يتوسط واسطة بينه تعالى وبين النبي أصلاً، وأما القسمان الآخران ففهما قيد زائد وهو الحجاب، أو الرسول الموحي، وكل منهما واسطة غير أنَّ الفارق أنَّ الواسطة الذي هو الرسول يوحي إلى النبي بنفسه، والحجاب واسطة ليس بموحٍ، وإنَّما الوحي من ورائه، فتحصل أنَّ القسم الثالث ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشاءُ﴾ وحي بتوسط الرسول الذي هو ملك الوحي، فيوحي ذلك الملك بإذن الله ما يشاء الله سبحانه قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾[٩]، وقال: ﴿قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[١٠]، والموحي مع ذلك هو الله سبحانه كما قال: ﴿بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هذَا الْقُرْآنَ﴾[١١]. وأما قول بعضهم: إنَّ المراد بالرسول في قوله: (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ) هو النبي يبلّغ الناس الوحي فلا يلائمه قوله: (فَيُوحِيَ) إذ لا يطلق الوحي على تبليغ النبي، وإنَّ القسم الثاني ﴿أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ﴾ وحي مع واسطة هو الحجاب، غير أنَّ الواسطة لا يوحي كما في القسم الثالث، وإنما يبتدئ الوحي مما وراءه لمكان من، وليس وراء بمعنى خلف، وإنما هو الخارج عن الشيء المحيط به، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِيطٌ﴾[١٢]، وهذا كتكليم موسى عليه السلام في الطور، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتاها نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾[١٣]، ومن هذا الباب ما أوحي إلى الأنبياء في مناماتهم، وإنَّ القسم الأول تكليم إلهي للنبي من غير واسطة بينه و بين ربه من رسول، أو أي حجاب مفروض، ولما كان للوحي في جميع هذه الأقسام نسبة إليه تعالى على اختلافها صح إسناد مطلق الوحي إليه بأي قسم من الأقسام تحقق، وبهذه العناية أسند جميع الوحي إليه في كلامه كما قال: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾[١٤] وقال: ﴿وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾[١٥]....وقوله: (إنه علي حكيم) تعليل لمضمون الآية فهو تعالى لعلوه عن الخلق والنظام الحاكم فيهم يجل أنْ يكلمهم، كما يكلم بعضهم بعضاً، ولعلوّه وحكمته يكلمهم بما اختار من الوحي، وذلك أنَّ هداية كل نوع إلى سعادته من شأنه تعالى كما قال: ﴿الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى﴾[١٦]، وقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾[١٧]، وسعادة الإنسان الذي يسلك سبيل سعادته بالشعور والعلم في إعلام سعادته، والدلالة إلى سُنّة الحياة التي تنتهي إليها، ولا يكفي في ذلك العقل الذي من شأنه الإخطاء والإصابة، فاختار سبحانه لذلك طريق الوحي الذي لا يخطئ البتة)[١٨].

٧- سورة الأعراف ، الآية ١٤٤.
٨- سورة النساء ، الآية ١٦٤.
٩- سورة الشعراء، الآية: ١٩٤.
١٠- سورة البقرة، الآية: ٩٧.
١١- سورة يوسف، الآية: ٣.
١٢- سورة البروج، الآية: ٢٠.
١٣- سورة القصص، الآية: ٣٠.
١٤- سورة النساء، الآية: ١٦٣.
١٥- سورة النحل ، الآية: ٤٣.
١٦- سورة طه، الآية: ٥٠.
١٧- سورة النحل، الآية: ٩.
١٨- الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي ،ج١٨، ص: ٧٥.

الصفـــات الإلهيـــة

القـــــدرة

كل كمال يوجد في مخلوق هو مستمد ومفاض من الله سبحانه وتعالى؛ لأنه عِلّة الوجود – كما مر علينا في حلقات سابقة – فمن غير المنطقي وغير المعقول أنْ يكون واهب الحياة فاقداً لها، أو واهب العلم ومفيضه فاقداً له، وكذا الكلام في القدرة، فإننا نجد في أنفسنا قدرة على بعض الأفعال بما وهبنا الله سبحانه من قوة وحكمة وإرادة، وهذه القدرة فينا لها حدود أكبر من بعض الأنواع الأخرى التي تعيش معنا في هذا العالم المحسوس، وكذا نجد في الأنواع الأخرى تفاوتاً في القدرة بحسب استعدادها الوجودي، مما يدلل على أنَّ القدرة في الموجود مطلقاً – سواء كان واجباً أو ممكناً - تكون كل بحسبه، فإنْ كان الموجود ممكناً كانت القدرة ممكنة وإنْ كان واجباً كانت القدرة واجبة.

وعليه نعلم أنَّ الله سبحانه وتعالى قادر، والقدرة فيه لا محدودة؛ لأنَّه جل شأنه غير محدود بحد، وهذا المعنى قد سبق في إثبات وجود العلة الأولى للعالم.

وهناك دليل آخر عن القدرة واختلاف مراتبها قوة وضعفاً، وهو أنَّ أي موجود فاقد لكمال من الكمالات لا يمكن منحه لموجود آخر، وكمثال أنَّ غير العالم لا يمنح علماً، وفاقد الحياة لا يعطيها، ولذا لما وجدنا في الكائنات القدرة علمنا أنَّ معطيها قادر، ولما وجدنا أنَّ الأنواع من الجماد والنبات والحيوان دائرة قدرتها مختلفة، والأكمل قدرة فيها كلها الإنسان، وفي قدرته وجدنا الإرادة والاختيار علمنا أنَّ خالقه فيه القدرة والإرادة والاختيار، ولكن مع الالتفات إلى مسألة مهمة و تميزها وهي أنَّ القدرة وإنْ أُطلقت على الجميع إلا أنَّ في بعض عن البعض نقص شديد، فالقدرة في الإنسان تستلزم معها الإرادة والاختيار بحسب استعداده، وهما يستلزمان تصور الفعل وتصديق أثره، وتوفر الدافع النفسي للقيام بالفعل، وبعبارة أخرى القدرة يلزمها العلم بالشيء وداعي خارج عن النفس، إلا أنَّ هذه المعاني غير موجودة في باقي الأنواع من الحيوان والنبات والجماد، فالقدرة وإنْ كان معناها يطلق على الجميع، لكن لابد من تجريد قدرة الإنسان من النقص في باقي الأنواع الأخرى المذكورة، وإثبات ما تختص به.

الشيخ قاسم الخفاجي

وننقل الكلام في قدرة الله سبحانه وتعالى فإنَّها لا يلزمها ما يلزم حال الإنسان من تصور وتصديق، ودافع زائد عن الذات كما في الإنسان.

فقدرة الله سبحانه وتعالى هي الاختيار المطلق لا يعجزها شيء إنْ أرادت وقوعه، إلا أنَّها لا تريد إلا إذا وافق الحكمة وتشمل ممكن الوجود، ولذا عرَّف بعض العلماء القدرة بأنَّها علمه بالنظام الأكمل من حيث إنَّه يصح صدور الفعل عنه، وبعبارة أخرى إنَّ القدرة هي أنْ الله يفعل ما يريد، لا أنَّه يفعل ما يستطيع، ومنه نستفيد أنَّ المستحيل بذاته خارج عن المقدور ويبطل من الأساس قول بعض المنكرين لقدرته المطلقة ومسألتهم: هل تتعلق القدرة بالمستحيلات؟

القرآن وقدرته تعالى

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

تشير الآية إلى عذر تذرَّع به المشركون على عدم إيمانهم حين عجزوا عن معارضة القرآن الكريم فقالوا ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ فردّ القرآن على كلامهم ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً﴾ أي أنَّ الله قادر على إنزال أي آية شاء متى شاء ولا يعجزه شيء إلا أنَّه لا ينزل إلا وفق الحكمة، وكيف يمكن فرض أنَّ المسمى باسم (الله) لا تكون له قدرة مطلقة؟! إنَّ المدقق يرى في جوابهم حين قالوا (ربه) أبدلها جل شأنه بـ(الله) لأن الألوهية المطلقة حائزة على كل الكمالات من غير أنْ تحد بحد، وعليه فلها القدرة المطلقة.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[2].

جاءت الآية بعد عدة آيات تتحدث عن مظاهر لقدرة الله سبحانه ورد فيها ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ...﴾ و﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ...﴾ و ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ...﴾ و ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ...﴾ و﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾ و﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا...﴾ وهي صريحة ظاهرة في إثبات قدرته تعالى على بعث العذاب عليهم، إلا أنَّ القدرة على شيء لا تستلزم فعله . وكما مر سابقاً أنَّ قدرته تجري وفق الحكمة . بل إثبات لقدرته على تعذيبهم وبطرق مختلفة لا يقدرون على ردها.

ثلاث آيات متواليات في القدرة

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3].

الآية الأولى حكت عن مناظرة للنبي إبراهيم عليه السلام مع طاغوت زمانه واستدلال النبي عليه السلام بمصنوعات الله على عظيم قدرته، وهي طريقة النظر في الآثار للوصول إلى المؤثر الحقيقي، والآية الثانية حدثت مع نبي لله سبحانه وتعالى تكشف عظيم قدرته وتصرفه في الأشياء بخرق النواميس الطبيعية، حيث أبقى من حقه الفساد سريعاً ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ وتلاشي من حقه البقاء فترة أطول ﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾، والآية الثالثة تظهر عظيم القدرة بإرجاع الطيور بسرعة بمجرد دعوة النبي عليه السلام لها وكل يعود إلى حالته الأولى.

١- سورة الأنعام الآية ٣٧.

٢- سورة الأنعام الآية ٦٥.

٣- سورة البقرة الآيات (٢٥٨-٢٦٠).

اكتشاف أقدم نسخة من القرآن الكريم

واحتمال نسبتها إلى الإمام علي عليه السلام

بقلم: راحت حسين (صحافي أمريكي)
ترجمة: رياض عبد الغني الحسن

واشنطن: اكتشف الباحثون من مشروع (كورانيكا) في مكتبة الجامعة في مدينة توبينغين في ألمانيا نسخة من القرآن الكريم قد تكون هي الأقدم في العالم، ويعود تاريخها إلى ما بعد ٢٠-٤٠ عاماً من وفاة نبي الإسلام محمد ﷺ، والنسخة التي علّمها العلماء بالرموز MA VI ١٦٥ مكتوبة بالخط الكوفي، وروَّجها الإمام علي بن أبي طالب الذي نقل مركز الحكومة الإسلامية إلى الكوفة بعد أن انُتخِب خليفة عام ٦٥٦م، ويمكن نسبة المخطوطة إلى الفترة ما بين ٦٤٩-٦٧٥م بنسبة إحصائية مقدارها ٩٥٫٤٪، وفقاً لما نقلته مجلة (ميدائيفل هستوريز).

إنَّ الفترة الزمنية التي حررت فيها المخطوطة مع قرينة أنَّ الإمام علي عليه السلام كان واحداً من القلة القليلة من المسلمين الذين يحسنون القراءة والكتابة، ترجّح بقوة فكرة أنَّ المخطوطة تعود للإمام، ويعزّز هذه النظرية أنَّ من بين القادة المسلمين الأوائل بعد وفاة النبي ﷺ كان الإمام علي عليه السلام الوحيد الذي حفظ القرآن بأكمله عن ظهر قلب.

ومما يعزّز ذلك أيضاً أنَّ هذه الوثيقة قد أُنشِئتْ لأغراض رسمية، قد يكون لها علاقة بأعمال الحكومة الإسلامية الخاصة بالإمام علي عليه السلام، هو أنَّ المخطوطة كتبت على رقوق عالية الجودة، كُتب لها البقاء أكثر من ١٣٣٩ سنة، رغم ضعف أساليب الصيانة المستخدمة لها.

يرى المسلمون الشيعة الإمام علياً أنه الخليفة الحقُّ للنبي محمد ﷺ، والأول في سلسلة من القادة المقدّسين الذين أوكلت إليهم مهمة تحقيق العدالة في العالم، أما المسلمون السنة فهم يترضّون على الإمام علي بصفته الخليفة الرابع والأخير من الخلفاء الراشدين.

سيجري عرض المخطوطة في ألمانيا كما تقول مكتبة الجامعة: "خلال موسم الخريف هذا ستعرض أجزاء من الرقوق ليراها عامة الناس في معرض في مدينة أنتويرب، خاص بالكتب المقدسة – والأماكن المقدسة الخاصة بالهودية والمسيحية والإسلام، يقام في مكتبة هندريك كونشنس للتراث، وستكون تلك فرصة عظيمة لعرض هذه الاكتشافات الجديدة أمام مشاهدين أكثر.

ترى الدكتورة إيفا ميرا يوسف-غروب ممثلة الجامعة: "إنَّ مشروع الـ(كورانيكا) يشتمل على وحدة تسمّى Radiocarbonica Computatio حيث يجري تعزيز عملية تحليل

الكتابات القديمة وتاريخ أقدم مخطوطات القرآن الكريم بأساليب علمية مثل عملية التأريخ باستخدام الكربون المشع".

"ستجري مقارنة نتائج المخطوطات المثبتة تواريخها في بيانات المخطوطات نفسها، وعمرها البالغ ١٤ قرناً، بالعلاقة بالقيم المحتسبة للقطع التي ليس عليها تاريخ".

"بفضل هذا البحث، يكون بالإمكان تحديد الدقة الفعلية لتواريخ سنوات القرن الرابع عشر وأهميتها بالنسبة لمخطوطات القرآن، والعينة المختارة تمثل نموذجاً من المخطوطات المعروفة المكتوبة بالخط الحجازي، التي تعدّ أقدم الشواهد النَّصية المكتوبة للقرآن الكريم، وقربها الزماني من عهد دعوة النبي ما يزال اليوم طور النقاش".

يظهر أنَّ النسخة المرقمة MA VI ١٦٥ تحتوي على قسم كبير من القرآن الكريم، من السورة ١٧ الآية ٣٧ حتى السورة ٣٦، الآية ٥٧.

لغاية اليوم تُعدُّ مخطوطة صنعاء الشهيرة هي المخطوطة الأقدم في العالم، ويعود تاريخها الى عام ٦٧١م، وتتعذّر نسبة النسخة المرقمة MA VI ١٦٥ إلى فترة مُقلّصة أكثر مما بين ٦٤٩-٦٧٥م، وعليه نجد الآن أنَّ كِلا الوثيقتين ترتبطان بسجل أقدم النسخ المسجلة.

إنَّ النسخة المرقمة MA VI ١٦٥ تعد من أقدم نسخ القرآن؛ لأنها كتبت بنوع من الخطوط الذي يسمى (الحجازي)، وهونوع من الخطوط العربية المائلة ذات الطراز المميز، والمخطوطات التي تستخدم الخط الحجازي عادة ما تلفت أنظار الباحثين مباشرة، إذ إنَّ هذا النوع من الخط استخدم في مخطوطات قرآنية قديمة جداً.

لقد حاز الإمام علي عليه السلام على كثير من الاهتمام هذا العام، بعد أنْ أخذت الشخصيات والسياسيون يذكرونه كثيراً ويذكرون أقواله الشهيرة.

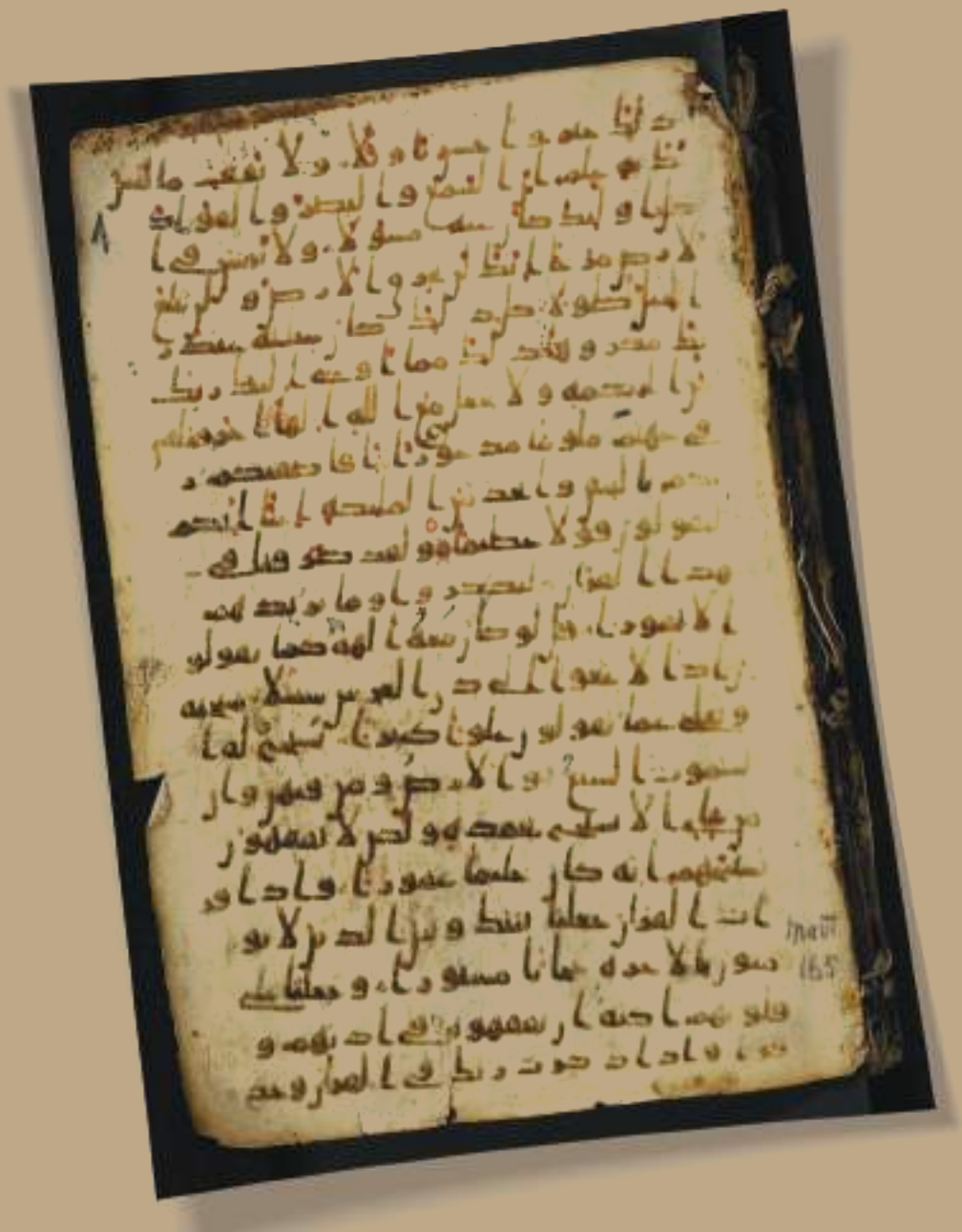

المصدر:/https://www.commdiginews.com/world-news/middle-east/worlds-oldest-quran-discovered-and-may-be-linked-to-imam-ali -٣٠١١

الإمام الكاظم عليه السلام وآثاره في تفسير القرآن الكريم

-١٢-

الشيخ عماد الكاظمي

تحدثنا في الحلقة السابقة عن بيان ما يتعلق بالآية المباركة حول الاهتداء بالنبي والأئمة عليهم السلام، والأقوال الواردة في ذلك في روايات الإمام الكاظم عليه السلام التفسيرية[١]، وفي هذه الصفحات القرآنية نسلّط الضوء على آية مباركة لها علاقة بمقام أهل البيت وفضلهم وما يتعلق بالشفاعة يوم القيامة.

- الآية الرابعة عشرة / قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[٢].

* عن محمد بن الفضيل[٣] عن أبي الحسن الماضي (عليه السلام) قال: ((سألته عن قول الله عزوجل: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ الآية قال: نَحْنُ وَاللهِ الْمَأْذُونُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْقَائِلُونَ صَوَابًا، قُلْتُ: مَا تَقُولُونَ إِذَا تَكَلَّمْتُمْ؟ قَالَ: نُمَجِّدُ رَبَّنَا، وَنُصَلِّي عَلَى نَبِيِّنَا، وَنَشْفَعُ لِشِيعَتِنَا، فَلَا يَرُدُّنَا رَبُّنَا))[٤].

إنَّ الرواية التفسيرية الشريفة تبيّنُ مسألة مهمة لها علاقة بمقام أهل البيت وفضلهم عليهم السلام من خلال كتاب الله تعالى وما في ذلك من آثار ينبغي التمسك بها، ولأجل أنْ نكون على بينة من مدلول هذه الرواية الشريفة للإمام الكاظم عليه السلام، نبحث عن ذلك في موضوعين:

١- تفسير الآية المباركة ضمن السياق العام.

٢- الشفاعة والأقوال فيها.

٣- الشفعاء.

أولاً: تفسير الآية المباركة

إنَّ المفسرين قد ذكروا ما يتعلق بالآية ومناقشتها من وجوه متعددة، فمنها ما يتعلق بظاهرها، ومنها ما يتعلق بباطن الآية وعلاقته بحجج الله على عباده، فمن مفسري الشيعة ما ذكر أحد الموضوعين، ومنهم مَنْ ذكر الموضوعين مَعًا في تفسيره، وثالث ذكر الروايات التفسيرية، وأما مفسرو العامة فلم يذكروا إلا الوجه الثاني.

١- قال الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): ((﴿صَوَابًا﴾ أَيْ شَهِدَ بِالتَّوْحِيدِ، وَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَقِيلَ: إِنَّ الْكَلَامَ هَا هُنَا الشَّفَاعَةُ، أَيْ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ أَنْ يَشْفَعَ عَنِ الْحَسَنِ وَالْكَلْبِيِّ، وَرَوَى مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ. فَقَالَ: نَحْنُ وَاللهِ الْمَأْذُونُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٥].

إنَّ تفسير الشيخ الطبرسي (قدس سره) للآية المباركة قد جمع بين قول مشهور عن العامة في تفاسيرهم حيث المراد من الصواب كلمة التوحيد، وبين الروايات الواردة عن المعصومين في أنَّ المراد به هو الشفاعة أيضًا كما ذكر في بعض الروايات التفسيرية للأئمة عليهم السلام.

وقد وردت روايات متعددة في أنَّ المراد من القول الصواب في الآية الشريفة هو كلمة التوحيد فقد ذكر الطبري ذلك[٦] فضلاً عمَّا سيأتي من الروايات التفسيرية في التفاسير الأخرى.

٢- قال الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م): ((والمعنى لا يشفعونَ إلا في حَقِّ شخصٍ أذنَ لَهُ الرحمنُ في شفاعتِهِ، وذلكَ الشخصُ كانَ مِمَّنْ قالَ صوابًا، وآحتجَّ صاحبُ هذا التأويلِ بهذهِ الآيةِ على أنَّهم يشفعونَ للمذنبينَ؛ لأنَّهم قالوا صوابًا، وهو شهادةُ أنْ لا إله إلا الله؛ لأنَّ قوله: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ يكفي في صدقِهِ أنْ يكونَ قد قالَ صوابًا واحدًا، فكيفَ بالشخصِ الذي قالَ القولَ الذي هو أصوبُ الأقوالِ، وتكلَّمَ بالكلامِ الذي هو أشرفُ الكلماتِ، القول الثاني: إنَّ الاستثناءَ غيرُ عائدٍ إلى الملائكةِ فقط، بل إلى جميعِ أهلِ السمواتِ والأرضِ، والمقولُ الأوَّلُ أولى؛ لأنَّ عودَ الضميرِ إلى الأقربِ أولى))[٧].

إنَّ كلامه واضح في أنَّ المراد من قوله ﴿صَوَابًا﴾ هو المعنى الذي ينطوي في هذا اللفظ، والذي قد ينطبق على مصاديق متعددة، وإنْ كان قد ذكر المراد منه هو كلمة التوحيد آبتداءً، على الرغم من الإشارة بصراحة إلى موضوع الشفاعة الذي تشير إليه الآية الشريفة.

٥- قال السيد الطباطبائي (ت١٤٠٣هـ/١٩٨٢م): ((وقوله: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي قالَ: قولاً صوابًا لا يشوبُهُ خطأٌ، وهو الحَقُّ الذي لا يداخِلُهُ باطِلٌ، والجملةُ في الحقيقةِ قيدٌ للإذنِ، والمرادُ بالصوابِ التوحيدُ وقولُ لا إلهَ إلا اللهُ، والمعنى لا يتكلمونَ في حَقِّ أحدٍ إلا في حَقِّ شخصٍ أذنَ لَهُ الرحمنُ، وقالَ ذلكَ الشخصُ في الدنيا صوابًا .... ومن هنا يظهرُ أنَّ المرادَ بالخطابِ الذي لا يملكونَهُ هو الشفاعةُ، وما يجري مجراها من وسائلِ التخلّصِ من الشرِّ .... وبالجملةِ قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ ضميرُ الفاعلِ في ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ لجميعِ المجموعينَ ليومِ الفصلِ مِنَ الملائكةِ والروحِ والإنسِ

١- كان الحديث في بيان قوله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾. سورة النحل: الآية ١٦.

٢- سورة النبأ: الآية ٣٨.

٣- أبو جعفر الأزرق محمد بن الفضيل الكوفي الأزدي، الصيرفي، عربي، كوفي، أدرك الإمام الصادق والكاظم والرضا عليهم السلام، روى عنهم في موارد متعددة، له كتاب ومسائل. السيد الخوئي، أبو القاسم علي أكبر: معجم رجال الحديث ١٥١/١٨.

٤- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي ٤٣٥/١. والحديث طويل في بيان ما يتعلق بالآيات المباركة الواردة في الولاية.

٥- مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٤٨/١٠. وينظر: البرهان في تفسير القرآن ٢٠٠/٨-٢٠١.

٦- جامع البيان في تفسير القرآن ١٤/٣٠.

٧- التفسير الكبير ٢٥/٣١.

والجنّ كما هو المناسبُ للسياق، الحاكي عن ظهورِ العظمةِ والكبرياءِ دونَ خصوصِ الملائكةِ والروحِ؛ لعدمِ سبقِ الذكرِ، ودونَ خصوصِ الطاغينَ كما قيلَ لكثرةِ الفصلِ، والمرادُ بالخطابِ الشفاعةَ وما يجري مجراها كما تقدّمَ))[8].

من خلال آستعراض الأقوال الواردة في المراد من قوله ﴿صَوَابًا﴾ نكون بين معنيين ظاهرين، الأول وهو أكثر آشتهارًا حيث كلمة التوحيد، والآخر حيث الشفاعة، ويمكننا أنْ نبيّن ما يأتي خلال التأمل في هذه التفاسير:

١- إنْ كان المراد هو كلمة التوحيد كما ورد في التفاسير فهل يُعقل أنَّ الله تعالى يأذن لمن لم يكن يؤمن بالتوحيد، فإنَّ مجرد إذنه تعالى فيه دلالة على مرتبة عظيمة للمأذون له في مقام الإيمان والتصديق في عقيدته، بل يتفاوت ذلك حتى يصل إلى اليقين، فلا يحتاج إلى أنْ يقول ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾، فإنَّ ذلك ينطوي ضمنًا في إذنه.

٢- إذا كانت كلمة التوحيد مقياسًا للتكلم في أحد شَقَّيْهِ القائم على عدم كلام أحد يوم القيامة إلا للذي (أذن له الرحمن + قال صوابًا)، فهل هناك مقياس للإذن الإلهي بعد أنْ تم معرفة المراد من ﴿صَوَابًا﴾ وهو كلمة التوحيد؟

٣- إنَّ تفسير ﴿صَوَابًا﴾ بكلمة التوحيد سيجعل كُلَّ مسلم مؤهَّلاً لأنْ يكون ممن يمكنه التكلم يوم القيامة بعد أنْ يتم الأذن له، ولكن هذا يخالف ظاهر الآيات والروايات التي كان لها موقف من المسلمين الذين لم يتمسكوا بتعاليم الشريعة المقدسة على الرغم من إسلامهم.

٤- إنَّ التفاسير المتقدمة لقوله ﴿صَوَابًا﴾ على آختلاف المعنى المراد تشير إلى مشاركة الناس للملائكة في ذلك الإذن الإلهي لهم، كما ذكر ذلك السيد الطباطبائي صراحة.

والظاهر من المفهوم العام لسياق الآية المباركة أنَّ الموقف العظيم الذي ستكون فيه الخلائق يوم القيامة كلها حيث وقوف الروح والملائكة بهيأة صفوف منتظمة يؤكد على مقام الامتثال بين يدي الله تعالى من قبل الملائكة له، وفي ذلك تذكير للعباد بمقام آمتثال الملائكة لله عز وجل وخضوعهم له، والإذن يوحي بأنَّه للملائكة وليس للناس على آختلاف مقاماتهم، وبذلك يكون الاستثناء في الآية آستثناء متصلاً، وهذا قائم على قراءة السياق الظاهري للآية المباركة من حيث هي في هذه السورة من دون الرجوع إلى آيات أخرى في المورد نفسه، ولكن في هذه الحالة يمكن أنْ نضع سؤالاً يترتب على ما تقدم مفاده: هل هناك روايات قد أكدت أو أشارت إلى أنَّ للملائكة دورًا في الحكم الإلهي يوم القيامة من حيث الشفاعة أو غيرها؟ أو يكون الإذن يشمل الناس مع الملائكة على الرغم من الاستثناء المتصل وعدم وجود ذكر للناس في الآية المباركة، ولكن هذا واضح الدلالة من خلال وجود روايات متعددة تدل على مقام الأنبياء والمرسلين وغيرهم يوم القيامة، فالآية عامة يراد بها الخاص، أو يمكن القول بأنَّ الاستثناء منقطعٌ في الآية ولا يراد الإذن فيه للملائكة، بل للناس من دون سواهم إنْ لم تكن هناك إشارات قرآنية أو روايات تشمل الملائكة في الشفاعة أو الإذن في الحكم يوم القيامة، والظاهر والله أعلم أنَّ المقام مختص بالناس وهم الأنبياء والأئمة عليهم السلام وليس الملائكة.

ثانيًا: الشفاعة والأقوال فيها.

إنَّ الشفاعة من الموضوعات المهمة التي تم بيانها في القرآن والسنة

١- قال الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م): في تفسير قوله تعالى ﴿آدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[9]: ((قال حذيفة: أصحابُ الأعرافِ قومٌ تكافأتْ أعمالُهُمْ، فقصَّرتْ بهم حسناتُهُمْ عن الجنةِ، وقصَّرَتْ بهم سيئاتُهُمْ عَنِ النارِ، فجعلوا على الأعرافِ، يعرفونَ الناسَ بسيماهُمْ، فلما قُضيَ بينَ العبادِ، أذنَ لهم في طلبِ الشفاعةِ، فأتوا آدمَ عليه السلام، فقالوا: يا آدمُ، أنتَ أبونا فاشفَعْ لنا عندَ ربِّكَ! فقالَ: هَلْ تعلمونَ أحدًا خلقَهُ اللهُ بيدهِ .... ولكن آئتوا محمدًا رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله! قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: فيأتوني، فأضربُ بيدي على صدري، ثم أقولُ: أنا لها! ثم أمشي حتى أقفَ بين يدي العرشِ، فأثني على ربِّي، فيفتحُ لي من الثناءِ ما لم يسمعِ السامعونَ بمثلِهِ قطُّ، ثم أسجدُ فيقالُ لي: يا محمدُ ارفَعْ رأسَكَ، سَلْ تُعْطَه، وآشفعْ تُشَفَّع! فأرفَعُ رأسي فأقولُ: رَبِّ أمَّتي! فيقالُ: هُمْ لَكَ، فلا يبقى نبيٌّ مرسلٌ، ولا ملكٌ مقرَّبٌ إلا غَبَطَني يومئذٍ بذلكَ المقامِ، وهو المقامُ المحمودُ))[10].

٢- قال الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م) في تفسير قوله تعالى ﴿كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[11]: ((وقيل: إنَّ الغرضَ بذلكَ الإنكارُ على عبدةِ الأوثانِ، وقولُهُمْ: إنَّها تشفعُ؛ لأنَّ المَلَكَ إذا لم تغنِ شفاعتُهُ شيئًا فشفاعةُ مَنْ دونهِ أبعدُ من ذلكَ، وفي ذلكَ التحذيرِ من الاتِّكالِ على الشفاعةِ؛ لأنَّهُ إذا لم يغنِ شفاعةُ الملائكةِ كانَ شفاعةُ غيرِهِم أبعدُ من ذلكَ، ولا ينافي ما نذهبُ إليهِ من أنَّ النبيَّ "صلى الله عليه وآله" والأئمةَ والمؤمنينَ يشفعونَ في كثيرٍ من أصحابِ المعاصي، فيسقطُ عقابَهُمْ لمكانِ شفاعتِهم؛ لأنَّ هؤلاءِ – عندنا- لا يشفعونَ إلا بإذنٍ من اللهِ ورضاهُ))[12].

٣- قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م) في تفسير قوله تعالى ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[13]: ((ومعنى "المقام المحمود" المقام الذي يحمده القائم فيه، وكُلُّ مَنْ رآه وعرفه، وهو مطلق في كُلِّ ما يجب الحمد من أنواع الكرامات، وقيل: المراد الشفاعة، وهي نوع واحد مما يتناوله، وعن آبن عباس "رضي الله عنهما": مقام يحمدك فيه الأولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق، تسأل فتعطى، وتشفع فتشفع، ليس أحد إلا تحت لوائك، وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله: هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي))[14]. وقد ذكر الطبري روايات متعددة في أنَّ المقام المحمود هو الشفاعة[15].

وفيما يتعلق بالذين تشمله الشفاعة ذكر الشيخ الطبرسي في أنَّ الشفاعة هي مختصة في دفع المضار وإسقاط العقاب عن مستحقّيه من مذنبي المؤمنين، وقالت المعتزلة هي في زيادة المنافع للمطيعين والتائبين دون العاصين[16]، وقد فصل العلامة السيد الطباطبائي (قدس سره) ما يتعلق بالشفاعة ببحث مستفيض، تناولها من جوانبها المتعددة التي تغني الباحث فيها وما ورد من الآيات والروايات الدالة على وقوعها[17].

والروايات الواردة عن النبي والأئمة عليهم السلام في الشفاعة كثيرة نذكر منها:

• روي عن النبي صلى الله عليه وآله: ((إنَّ اللهَ أَعْطَانِيْ مَسْأَلَةً، فَأَخَّرْتُ مَسْأَلَتِيْ لِشَفَاعَةِ الْمُؤْمِنِيْنَ مِنْ أُمَّتِيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَفَعَلَ ذَلِكَ))[18].

• روي عن النبي صلى الله عليه وآله: ((شَفَاعَتِيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقٌّ، فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا))[19].

• روي عن الإمام الصادق عليه السلام: ((إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَشْفَعُ فِي الْمُذْنِبِيْنَ مِنْ شِيْعَتِنَا، فَأَمَّا الْمُحْسِنُوْنَ فَقَدْ نَجَّاهُمُ اللهُ))[20].

إنَّ في هذه الروايات الشريفة دلالة واضحة في وقوع الشفاعة يوم القيامة كما آتفق على ذلك المسلمون، فالحديث الأول يؤكد النبي صلى الله عليه وآله على المقام الذي آدخره الله لنبيه يوم القيامة، وفي ذلك كمال شرفها ومنزلته، وهناك روايات أخرى مثل ذلك قد بينت آختصاص النبي بهذا المقام الرفيع، من دون غيره من الأنبياء عليهم السلام، والرواية الثانية تصريح وإقرار من النبي صلى الله عليه وآله على أهمية الاعتقاد والإيمان بالشفاعة، بل هي حق من الحقوق الإلهية لنبيه وغيره لا بد من التصديق بها؛ لينتفع المؤمنون بهذا التصديق في يوم يكون الإنسان أشد حاجة إلى شفاعة حجج الله على العباد، وفيها تحذير من إنكار الشفاعة لما يترتب على ذلك من حرمان ذلك الفضل والعطاء الإلهيين، وأما الرواية الثالثة ففيها بيان على مقام الأئمة عليهم السلام يوم القيامة وأدائهم للشفاعة بحق شيعتهم، فضلاً عن البشارة للشيعة في ذلك اليوم الذي ينفعهم الولاء والاتباع للأئمة عليهم السلام.

ومما ينبغي الإشارة إليه أنَّ هذه الروايات الدالة على الشفاعة للمذنبين لا تعني أنْ يقوم الإنسان بارتكاب المعاصي والذنوب آعتمادًا على الشفاعة، بل تدل على عظمة رحمة الله تعالى بعباده، وحبه لهم، ورأفته بهم، مع وجوب عدم الإصرار على المعاصي؛ ليكون الإنسان مؤهَّلاً للشفاعة، وقد وردت روايات في أنَّ هناك من الأعمال السيئة التي تحرم الإنسان من الشفاعة.

ثالثًا: الشفعاء.

لقد ورد في روايات متعددة

١- النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. وقد تقدمت الروايات الدالة على ذلك.

٢- الإمام علي عليه السلام. روي عن النبي صلى الله عليه وآله: ((إِنِّيْ أَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُشَفَّعُ، وَيَشْفَعُ عَلِيٌّ فَيُشَفَّعُ، وَيَشْفَعُ أَهْلُ بَيْتِيْ فَيُشَفَّعُوْنَ))[21].

٣- الأئمة عليهم السلام. وقد تقدمت الرواية.

٤- الأنبياء عليهم السلام. روي عن النبي صلى الله عليه وآله: ((ثَلَاثَةٌ يَشْفَعُوْنَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُشَفَّعُوْنَ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ))[22].

٥- العلماء. وقد تقدمت الرواية.

٦- الشهداء. وقد تقدمت الرواية.

٧- المؤمن. روي عن النبي صلى الله عليه وآله: ((فِي الْمُؤْمِنِيْنَ مَنْ يَشْفَعُ مِثْلَ رَبِيْعَةَ وَمُضَرَ، وَأَقَلُّ الْمُؤْمِنِيْنَ شَفَاعَةً مَنْ يَشْفَعُ لِثَلَاثِيْنَ إِنْسَانًا))[23].

وهناك من الأعمال التي تكون شافعة للإنسان يوم القيامة مثل: القرآن، الصيام، والرحم، والأمانة، وغيرها كما وردت في الروايات.

فالرواية التفسيرية هي موافقة لمنهج الثقلين – القرآن والعترة- في الاعتقاد بالشفاعة كما ورد ذلك في الشريعة المقدسة من خلال الآيات المباركة والروايات الشريفة، فنسأله تعالى أنْ يرزقنا شفاعة النبي وآله إنه سميع مجيب.

٨- الميزان في تفسير القرآن ٢٠/١٨٨.

٩- سورة الأعراف: الآية ٤٩.

١٠- جامع البيان في تفسير القرآن ١٢/٤٧٠-٤٧١.

١١- سورة النجم: الآية ٢٦.

١٢- التبيان في تفسير القرآن ٩/٤٣٠.

١٣- سورة الإسراء: الآية ٧٩.

١٤- تفسير الكشاف ٢/٦٤٨.

١٥- ينظر: جامع البيان ١٨/٤٤-٤٨. وقد ذكر آثني عشر حديثًا في ذلك.

١٦- مجمع البيان في تفسير القرآن ١/٢٢٣.

١٧- للتفصيل ينظر: الميزان في تفسير القرآن ١/١٥٤-١٧٥.

١٨- بحار الأنوار ٨/٣٧.

١٩- كنز العمال، المتقي الهندي ١٤/٣٩٩. وقد ذكر أكثر من خمسين حديثًا في شفاعة النبي صلى الله عليه وآله يوم القيامة.

٢٠- ميزان الحكمة، محمد الريشهري ٥/١٩٥٤.

٢١- مجمع البيان في تفسير القرآن ١/٢٢٣.

٢٢- بحار الأنوار ٨/٣٤.

٢٣- بحار الأنوار ٨/٥٨.

أبعاد التنمية في القرآن الكريم

أ.م.د. محمّد جواد شبع
رئيس قسم التخطيط الإقليمي - جامعة الكوفة

إنَّ مفهوم التنمية في القرآن يشمل تحسين ظروف حياة الإنسان من مختلف النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية، ذلك أنَّ هدف التنمية هو الإنسان، وهو كما تقدم لا يعيش بزيادة الدخل المادي فقط، بل يعيش في مجتمع له سياسته، ولا شك أنَّ نظم مجتمعه تؤثر عليه فلا بد من تحسينها، كما أنه لا بد كي تكون الحياة مريحة أنْ تكون البيئة نقية ما أمكن وصالحة للحياة، لذا دخلت كل هذه الأبعاد في مفهوم التنمية، ويمكن تلخيصها على النحو الآتي:

البعد الاقتصادي

لقد اهتمَّ القرآن بالجانب الاقتصادي في حياة الإنسان اهتماما كبيرًا، ذلك أنَّ الإنسان لا يستطيع أنْ يعيش دون تلبية احتياجاته من طعام وشراب وكساءٍ وسكن، وكل ذلك يتطلب الاهتمام بالتنمية الاقتصادية لإشباع ما فُطِر الإنسان عليه، لذا فقد وردت في القران الكريم آيات عديدة تَمُن على الإنسان بنعمة المال والأمن، وتُبيّن ما فُطِر عليه من حُبّ المال والشهوات في حدود المباح، يقول تعالى مُمْتَناً على قريش ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ* إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ* فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ* الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[1].

فالله تعالى يَمْتَنُّ على قريش بأنْ يَسَّر لهم نظام الإيلاف التجاري لما له من أهمية اقتصادية، ويَسَّر لهم سُبُل الأمن لتجارتهم مما سبب إشباع حاجاتهم المادية، ويتحدث تعالى عمَّا أودعه في النفوس من حب المال والشهوات فيقول: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[2].

وقال أيضًا جل وعلا: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾[3]، ويدعونا الله سبحانه وتعالى إلى التمتُّع بحدود المُباح فيما أنعم علينا من نِعَم والظهور بالمظهر اللائق، فيقول عز وجل ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ. قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[4].

ومن الأسس العقائدية للاقتصاد الإسلامي أنَّ الله سبحانه وتعالى استخلف الإنسان في الأرض لعمارتها واستثمار خيراتها، وقد أعطاه الله القدرة بما وهبه من قوة العقل والجسم لتحقيق هذا الاستخلاف، يقول عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ﴾[6]، ويُبيّن أنَّ الكون وما فيه مُسخَّر للإنسان ومُذَلَّل له ليتمكن من تحقيق هذا الاستخلاف، وقد عَبَّر القرآن الكريم عن هذا المعنى بآيات كثيرة أوضَحَت أنَّ التسخير شامل للأرض والبحر والجو وما فيها، ومن هذه الآيات الجامعة قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[7]، وبديهي أنَّ تسخير الكون للإنسان، واستخلاف الله تعالى له في هذه الأرض يقتضيان انتفاع الإنسان بما خلق الله في الكون، واستثماره لما فيه من خيرات وثمرات بالطرق التي شرَّعها الله الخالق والمالك لهذا الكون لما فيه ومن فيه، وهذه الأسس بحد ذاتها دليل على ما للنشاط الاقتصادي من أهمية بالغة في النظرة القرآنية، ولكن من المهم الإشارة إلا أنه لا ينبغي أنْ يكون النشاط الاقتصادي غاية قصوى بحد ذاته، وإنما وسيلة لمرضاة الله وشكره، لذا وجب أنْ يتقيد بكل القيود الأخلاقية والشرعية؛ إذ الهدف النهائي هو مرضاة الله، يتضح هذا مما تقدم ذكره من قول الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[8].

البعد الاجتماعي

لقد أولى القرآن العدالة الاجتماعية كأحد أبعاد التنمية أهمية بالغة كي لاتظهر في المجتمع فجوات واسعة في الدخول، يبنى عليها نظاماً طبقياً بغيضاً، بحيث يعيش أناس حياة مترفة بينما يوجد غيرهم يعانون من الفقر والحرمان، ويتعرضون لصنوف الظلم والاستغلال والهوان مما ينافي القاعدة العامة التي أرساها القرآن بوجوب إقامة العدل الذي بنى الله عليه الكون، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[9].

وقد أرسى القران الكريم قاعدة عامة هي وجوب توزيع الدخل بشكل عادل، وعدم جواز تداوله بين الأغنياء فقط، يقول تعالى: ﴿مَا أَفَاء اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[10].

البعد السياسي

اهتم القرآن بهذا البعد من أبعاد التنمية عن طريق تقريره لمبدأ الشورى، وحثِّه الناس على الاهتمام بالشؤون العامة للأمة والمساهمة في حلها وتقريره مبدأ تكريم الإنسان، ومراعاة العلاقات الإنسانية في التعامل بين الرئيس والمرؤوس، وبين أفرادالأمة بشكل عام، فالشورى أحد المبادئ في الحياة الإسلامية العامة، كما في قوله تعالى في أوصاف الأمة المؤمنة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[11].

فعلى كل فرد من أفراد المجتمع الاهتمام بالشؤون العامة الذي عبر عنه ﷺ بقوله: (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)[12]، لتكون النتيجة هي المشاركة الفعَّالة بين القيادة ومجموع الأمة بما يأخذ بيد الجميع نحو الخير، لذا فقد كان الرسول ﷺ يستشير أصحابه ليعلمهم هذا المبدأ الاجتماعي مما يجعل لمبدأ الشورى حيوية متجددة في الأمة أنّه جاء عامًا غير مقيد بصورة تنفيذية محددة مما يفتح المجال أمام الأمة لإيجاد الصيغة أو الطريقة العملية المناسبة لتحقيق الشورى في حياتها.

البعد البيئي

اهتم القرآن بضرورة المحافظة على البيئة وتوازنها الطبيعي، وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى أنه خلق الكون متوازنًا في مجالاته المختلفة يقول تعالى: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾[13].

وقال تعالى: ﴿..وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[14]، وقد وردت أحكام إسلامية كثيرة تأمر بالمحافظة على بيئة نظيفة ونقية؛ كي تكون صالحة لحياة كريمة للإنسان، فقد أمر المسلمين بالنظافة ونهى الرسول ﷺ عن إلقاء الفضلات في المياه، وفي ظل الأشجار، وأمر في الاقتصاد في استعمال الموارد لضمان عدم استنزافها، ونحن نرى الآن المخاطر الكبيرة للتلوث سواء أكان التلوث كيميائيا أم ناتج عن المخلفات النووية بسبب التسارع في زيادة الإنتاج الصناعي.

من هنا ندرك حكمة القرآن بالحد من هذا المسبب عن طريق الأمر بالتوازن في حياة الإنسان المعيشية، بحيث لا يُبذِّر ولا يسرف في الاستهلاك، فالاستهلاك اللامتناهي يستوجب زيادة الإنتاج عن طريق المصانع التي تلوث البيئة، أو عن طريق استخدام السماد الكيمياوي ورشّ المنتجات الزراعية بكثرة، ما يؤدي إلى التلوث واستنزاف الموارد معًا، لذلك أمر الله بالاعتدال في كثير من المجالات كما قال عز وجل: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾[15].

١- سورة قريش.
٢- سورة آل عمران، الآية ١٤.
٣- سورة الكهف، الآية ٤٦.
٤- سورة الأعراف، الآيتان٣١،٣٢.
٥- سورة البقرة:الآية ٣٠.
٦- سورة الأنعام، الآية ١٦٥.
٧- سورة الجاثية، الآيتان ١٢،١٣.
٨- سورة القصص، الآية ٧٧.
٩- سورة النحل، الآية ٩٠.
١٠- سورة الحشر، الآية ٧.
١١- سورة آل عمران، الآية١٥٩.
١٢- الوافي، الفيض الكاشاني ، ٥٣٥/٥.
١٣- سورة الحجر، الآية ١٩.
١٤- سورة الرعد، الآية ٨.
١٥- سورة الإسراء،الآية ٢٩.

العتبة الكاظمية المقدسة
تحتفي بشيخ قرّاء العراق

انطلاقاً من قول الرسول الأكرم محمدٍ ﷺ: (أهل القرآن في أعلى درجةٍ من الآدميّين ما خلا النبيّين والمرسلين، فلا تستضعفوا أهل القرآن وحقوقهم، فإنّ لهم من الله لمكاناً)، احتفت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة بقارئها الشيخ الحافظ محمد حسين الشامي في المحفل الأسبوعي الذي أقيم في رحاب الصحن الكاظمي الشريف يوم السبت ٢٠١٧/٣/١٧ بعد تتويجه بلقب (شيخ قرّاء العراق)، في حفل افتتاح مشروع (عرش التلاوة)، بحضور عددٍ من الأساتذة المتخصصين والمهتمين بالشأن القرآني وزائري الإمامين الجوادين عليهما السلام. وشهد المحفل تلاوة معطرة للقارئ أحمد الجابري والقارئ علي الساعدي ومشاركة القارئ محمد جواد أسدّي من الجمهورية الإسلامية الإيرانية ومشاركة طيبة لشيخ القرّاء الحاج (محمد حسين الشامي)، إذ اتحفوا الحفل بتلاواتهم المباركة وأصواتهم الشجية، واختتم بتكريم الشامي وتوزيع الشهادات التقديرية والهدايا على المشاركين.

في الوقت ذاته تحدث الشيخ الحافظ محمد حسين الشامي إلى موقع العتبة الكاظمية المقدسة بهذه المناسبة المباركة قائلاً: أتقدم بالشكر والتقدير إلى الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة وعلى وجه الخصوص دار القرآن الكريم، على هذا الاهتمام والاحتفاء بيّ، وما حصلت عليه من لقب وتتويج جاءت ثمرته بفضل وبركة الإمامين الكاظمين عليهما السلام وهذه العتبة المقدسة التي نشأتُ وترعرتُ في ظلالها.

وتواصل الشامي في حديثه عن القراءة العراقية قائلاً: هي أرق إلى القلب والوجدان، وأقرب إلى الدمعة، بل هي المدرسة الأكبر والأعمق تأثيراً التي تنفرد بمميزاتها وصفاتها وضوابطها، فضلاً عن جمهورها العريق، بالرغم من إنها قد تتعرض للاندثار، ولكن أوجّه شبابنا وأبناءنا القرّاء إلى الحفاظ على هذا الموروث الأصيل وضرورة إحيائه.

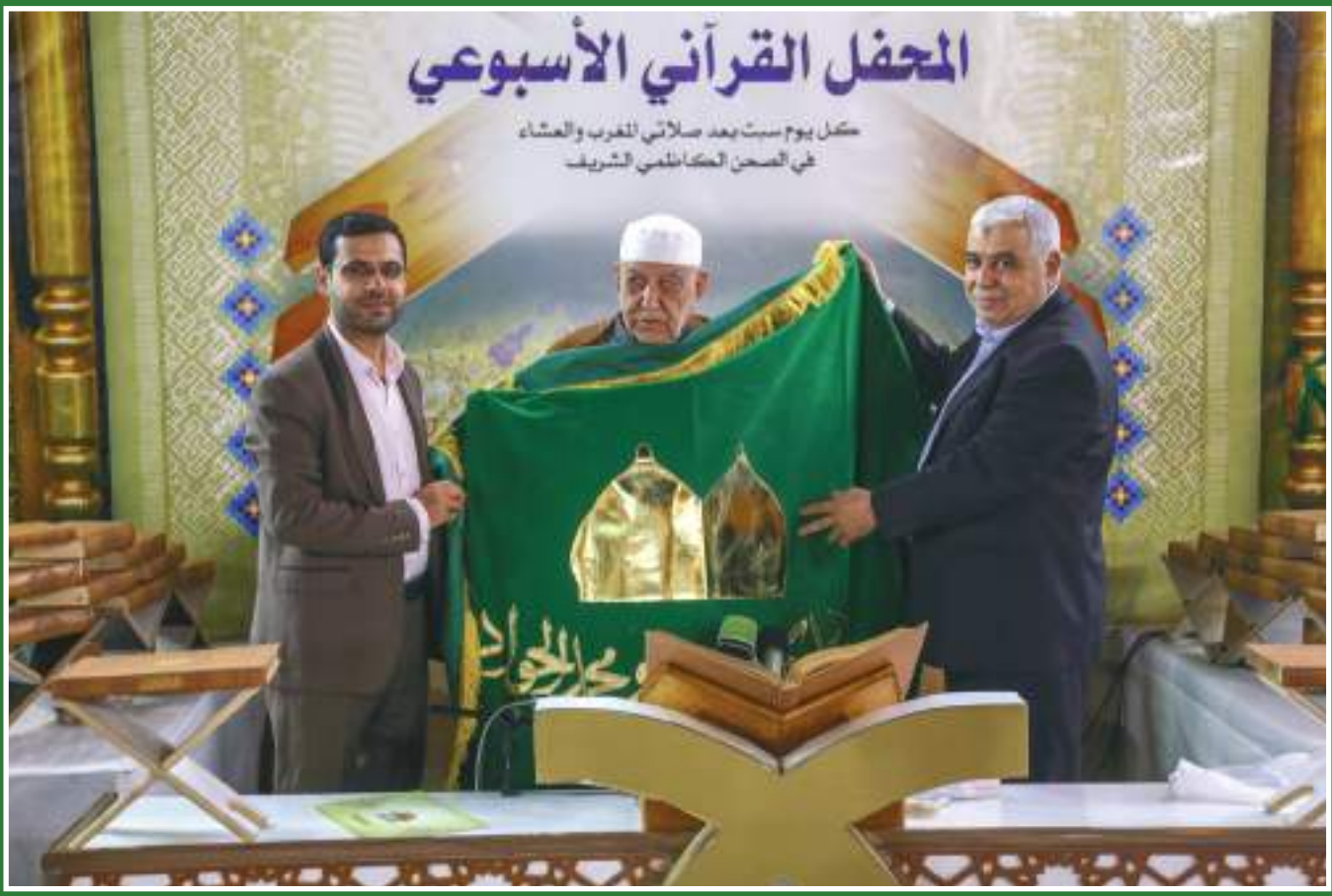

دار القرآن الكريم
ينظّم المسابقة الربيعية لحفظ القرآن الكريم

ضمن النشاطات القرآنية الميمونة التي تضطلع بها العتبة الكاظمية المقدسة، أقام دار القرآن الكريم المسابقة الربيعية للسنة الثانية على التوالي، المسابقة التي جرت يوم السبت المصادف ٣٠ جمادى الأولى١٤٣٩هـ في قاعة القرآن الكريم في الصحن الكاظمي الشريف، بحضور عضو مجلس إدارة العتبة المقدسة الأستاذ (محمد البناء) ومدير شعبة الشؤون الفكرية فضيلة الشيخ (طه العبيدي) وبمشاركة (٤٠) متسابقاً ومتسابقة من البنين والبنات وبأعمار مختلفة. وقد كانت المسابقة في هذا العام متفرعة إلى ثلاثة أفرع في حفظ جزء واحد، وفي حفظ ثلاثة أجزاء، وحفظ عشرة أجزاء. وقد أشرف على اختبارات المتسابقين نخبة من الأساتذة المتخصصين في الشأن القرآني وهم كلّ من: السيدة (بتول جبار) لأحكام الوقف والابتداء، والأستاذ (جلال علي محمد) في أحكام التلاوة، والسيد (عبد الكريم قاسم) في مادة الصوت والنغم، والأستاذ (لؤي الطائي) في جودة الحفظ. واختتمت المسابقة بتوزيع الشهادات التقديرية والهدايا على اللجنة التحكيمية والجوائز المالية على الفائزين من فيض بركات الإمامين الكاظمين عليهما السلام.

ضرار وتقوى

الشيخ نجم عبد الرضا الدراجي

﴿ وَالَّذينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفْراً وَتَفْريقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنينَ وَإِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلاَّ الْحُسْنى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ * لا تَقُمْ فيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فيهِ فيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرينَ * أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانْهارَ بِهِ في نارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمينَ ﴾

للمسجد دور كبير في حياة المسلمين، ففيه تقام الصلاة جمعة وجماعة، فهو نقطة جغرافية تجمع أفراد المجتمع كبيرهم وصغيرهم، ذكرهم وأنثاهم، غنيهم وفقيرهم، وكل طبقات الناس، وهو مدرسة تعلم الأجيال طريق سعادتهم في الدنيا والآخرة ، وهو مكان للقضاء بين الخصوم، وهو نقطة انطلاق الجيوش الإسلامية، كما هو مكان إبلاغ البيانات العامة الصادرة من الدولة، فلا غرابة إذا كان المسجد رمزاً من رموز الإسلام يترتب الأجر الكبير على عمارته المادية والمعنوية، لكن هناك تحذير قرآني من استغلال هذا الرمز وتحويله إلى أغراض أخرى تصب في صالح حركة النفاق، فقد أخبر القرآن عن مجموعة من المنافقين وفي عهد رسول الله ﷺ بنوا مسجداً لكن ليس لوجه الله بل لأغراض أخرى منها:

الأول: الإضرار بالمسلمين ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾، الضِرار هو الإضرار العمدي، وهو عكس ما يعلنون من غايات انهم بنوا المسجد للضعاف والليلة الشاتية وما شابه ذلك.

الثاني: تدعيم جبهة الكفر (وكفراً)، وهو خلاف دور المسجد في المجتمع ببث تعاليم الإسلام ومفاهيمه.

الثالث: إيجاد حالة الفرقة بين أفراد الأمة ﴿ وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فبدل أنْ يجتمعوا في مسجد واحد يتوزعون على أكثر من مسجد.

الرابع: اتخاذ المسجد مقراً حزبياً ﴿وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾، فيكون منطلقاً ومحلاً للمخططات التي تُحاك سِرّاً ضد الإسلام والمسلمين، والتي كُثرت بحيث لا تفشل خطة إلا بدأت اخرى.

ورُغم كل هذه الغايات غير النبيلة بل الشيطانية يعتذر المنافقون كعادتهم بالحِلف الكذب ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ﴾، لكن الله سبحانه يشهد بكذبهم ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، والوظيفة الشرعية تجاه هذا المسجد عدم الإقامة فيه وللأبد ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾، بل أمر رسول الله ﷺ بهدمه وتحويله إلى محل قمامة، ومقابل هذا المسجد مسجد مدح الله دوافع بانيه في بنائه أولاً، ومدحهم بأنهم يحبون الطهارة والله يحب المتطهر، والوظيفة تجاه هذا المسجد هو أحقيته بالإقامة ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾، ثم قارنت الآية الثالثة بين المسجدين، فمسجد قبا أو المسجد النبوي ﴿أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾، أما مسجد النفاق فهو بنيان على جانب وادٍ يتأكل بالماء، فهو آيل للسقوط، وإذا سقط يسقط في جهنم ﴿أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾، ونتيجة ذلك أنهم لن يصلوا إلى أهدافهم لأنهم ظالمون ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

سورة الليل

﴿إِنَّ عَلَيْنا لَلْهُدى * وَإِنَّ لَنا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولى * فَأَنْذَرْتُكُمْ ناراً تَلَظَّى * لا يَصْلاها إِلاَّ الْأَشْقَى * الَّذي كَذَّبَ وَتَوَلَّى * وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذي يُؤْتي مالَهُ يَتَزَكَّى * وَما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزى * إِلاَّ ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلى * وَلَسَوْفَ يَرْضى﴾

القسم الثاني

مَرَّ بنا أنَّ السورة المباركة تبدأ بالقسم، والمقسوم عليه هو افتراق الناس إلى فئتين، الأولى مؤمنة سخية، والأخرى كافرة بخيلة، وأكَّدت السورة أنَّ الطرفين مُيسَّرين من قبل المولى سبحانه، لكن الأولى مسيرة لليسرى والثانية للعسرى، والتأكيد على عدم نفع المال حال التردّي، والآيات المباركة تبدأ بتعليل هذا اليسر الإلهي فيقول: إنَّ التيسير من الهدى، والهدى على الله ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾، فالهدى واجب على الله سبحانه، لا بمعنى أنَّ هناك من يُوجب عليه شيء، لكن بمعنى أنه أوجب على نفسه هداية العباد وفقاً لحكمته سبحانه، وذلك تحقيقاً لغاية الخلق وهي العبادة والتي هي الصراط المستقيم، وقضى الله سبحانه على نفسه دلالة عباده وهدايتهم لهذا الصراط، وبعد هذه الدلالة مَن شاء فليؤمِنْ وَمَن شاء فليكفرْ، وإيمان المؤمن لا يزيد في ملك الله شيئاً، وكفر الكافر لا ينقص من ملك الله شيئاً ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾، فمن أراد أحدهما أو كليهما فعليه أنْ يطلب ذلك من المالك الحقيقي، ومن اختار الحظ الأخسّ فلا يلوم إلا نفسه، خاصة مع بيان نتيجة سلوك أي الطريقين، فيأتي الإنذار الإلهي للجميع ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾، والإنذار تابع للهداية الإلهية الواجبة على الله، وتلظّي النار يعني تَلَهُّبها وتَوَهُّجها، وهي نار سَجَّرها جبارٌ لغضبه بتعبير أمير المؤمنين عليه السلام، ثم بيّن القرآن مَنْ يدخلها ويقاسي حرَّها ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾، والشقاء هو ما يقابل السعادة، فيشمل كل حالة شدة وعناء تمنع التكامل المادي أو المعنوي، لكن التعبير بـ(الأشقى) يَدُلُّ على مراتب كثيرة للشقاء ومستحق جهنم أشدهم شقاءً، فقد يمر الإنسان في الدنيا بشقاء مِن فقر، أو مرض، أو غير ذلك، لكن ذلك شقاء زائل، خاصة إذا قِيس بشقاء الآخرة الخالد، ويعرف الأشقى بكونه ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ فهو مُكذِّب بآيات الله ومُعرِض عنها، ومقابل مستحق جهنم يذكر مَن يستحق الابتعاد عنها ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾، وما مر في الأشقى يجري هنا أيضاً، فللتقوى مراتب فمن الناس مَن يتقي المخاطر، ومنهم مَن يتقي الفقر بعدم البذل، ومنهم من يتقي الله ببذل المال، والمُبعَد عن النار هو الحائز على أعلى المراتب، ويُعرّفه القرآن بأنه ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾، فهو ينفق أمواله بنية خالصة لوجه الله سبحانه، يطلب بذلك تطهير ماله من جهة، ونماءه من جهة أخرى، وليس لأحد من الخلق فضل على هذا الأتقى، فيكون عطاؤه مقابل ذلك الإنفاق جزاءً لتلك النعمة ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾، هذا من جانب الخلق، أما جانب الخالق فالأتقى يطلب وجهه في كل أعماله ﴿إِلاَّ ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلى﴾، وإزاء هذا الإخلاص يكون العطاء الإلهي ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضى﴾ والرضا هنا مطلق ليشمل كُلَّ أنواع الرضا ومن كل الحيثيات.

إعجاز القرآن

القسم السادس

العلّامة الشيخ محمد حسن آل ياسين (رحمه الله)

من تلك الإشارات ما يؤكّده علماء الفلك من أنَّ الشمس – كأي نجم آخر- لا بُدَّ أنْ يعتريها ازدياد مفاجئ في حرارتها وحجمها وإشعاعها بدرجة لا تصدّقها العقول، وعند ذلك يتمدد سطحها الخارجي بما حوى من لهب ودخان حتى يصل القمر ويختل توازن المجموعة الشمسية كلها، وكل شمس في السماء لا بُدَّ أنْ تمر بمثل هذه الحالة قبل أنْ تحصل على اتزانها الدائم، ولم تمر شمسنا بالذات بهذا الدور بعد، وبهذا يتضح لنا بجلاء معنى قوله تعالى في تحديد يوم القيامة وفناء العالم: ﴿فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾[1].

ومن الحقائق العلمية التي ذكرها القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[2] وقد حدثتنا المراجع العلمية المعنية بهذا الموضوع أنَّ النحل قد اتخذتْ أول ما اتخذت لها مسكناً من الجبال، وكانت تعيش في المغارات وتتوالد فيها، ثم حدثت لها عدة تطورات من جهة البيئة، والعوامل الجوية اضطرتها إلى الانتقال من سكنى الجبال إلى سكنى الأشجار، فكانت تنتخب الشجرة التي فيها ثغرات وثقوب لتتخذها بيتاً ومسكناً.

ولما أراد الإنسان أنْ يتألفها – كما فعل مع كثير من الحيوانات- صنع لها ما يشبه المساكن التي رآها تسكن فيها، وكانت تلك المساكن مصنوعة من الطين، ثم أُدخلت عليها التحسينات باستمرار فَصُنعت من القش ومن الخشب، ثم تطورت إلى ما هي عليه اليوم، وإذاً فانحدار النحل أو تطورها في السكنى من الجبال إلى الأشجار ثم قابليتها للسكن في أي بيت يعرشه الإنسان هو ما ينطق به القرآن، ومن تلك الحقائق العلمية التي أنبأنا عنها القرآن الكريم ما يتعلق بالأرض، مما كان مجهولاً لم يعرفه العلماء إلا في السنين القريبة الماضية، من أنَّ الأرض مهما اختلفت أنواعها لها مسام يتخللها الهواء، بل أنَّ اختلاف حجم المسامّ وعددها هو السبب الرئيس في اختلاف نوع الأرض طينية أو رملية، ولم يُعْرَف إلا أخيراً إنَّ هذه المسام بها هواء، وأنَّ نزول الماء على الأرض يدفع الهواء أمامه ويحل محله، وبتقدم علوم الكيمياء والطبيعة عُرف أنَّ الطين يتمدد بالماء وينكمش بالجفاف، وإنَّه عند امتلاء مسام الأرض بالماء تتحرك جزئيات الطين بقوة دفع الماء في المسام، فكأنَّ الأرض إذا ما نزل عليها الماء تحركت وزادت في الحجم، وقد أمكن قياس حركة الأرض إذا أصابها الماء كما أمكن معرفة الزيادة في حجمها، وهذه الحقائق الثابتة التي تعتبر وليدة التقدم العلمي المعاصر كان القرآن قد أنبأنا بها بقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[3] والاهتزاز هو الحركة، وربت أي زادت في الحجم، وقد فسرت هذه الحقائق ما يشاهده في بعض المباني الحديثة البناء من انهيارات أو شروخ بعد سقوط الأمطار أو ابتلال البناء بالماء.

ومن تلك الحقائق أيضاً ما ذهب إليه العلم الحديث من أنَّ إفرازات الجسم على نوعين: نوع له فائدة في الجسم مثل إفرازات الهضم والتناسل وبعض الإفرازات الداخلية التي تنظم أجهزة الجسم وأنسجته، وهذا النوع ضروري للحياة وليس فيه أي ضرر.

ونوع ليست له فائدة مطلقاً، بل هو بالعكس يجب إفرازه من الجسم إلى الخارج، لأنَّه مكوَّن من مواد سامة إذا بقيت في الجسم أضرَّتْ به، وذلك مثل البول والبراز والعرق والحيض.

وعندما يقول تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾[4] فإنه جل وعلا أراد أنْ يعلّمنا- قبل أنْ يصل العلم البشري إلى مرحلة معرفة أي شيء عن الإفرازات – إنَّ المحيض أذى وأنه لا يفيد الجسم، ثم أمر البشر بالاعتزال عن مباشرة النساء خلال الحيض، لأنَّ أعضاء المرأة التناسلية تكون في حالة احتقان، والأعصاب في حالة اضطراب؛ بسبب إفرازات الغدد الداخلية، ويكون الاختلاط الجنسي ضرراً في هذه الحالة، بل ربما منع نزول الحيض وأثار كثيراً من الاضطراب العصبي، وقد يكون سبباً في التهاب الأعضاء التناسلية، ومن تلك الحقائق أيضاً قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[5] ويحدثنا علماء الفلك بأنَّ المسافات بين النجوم تبلغ حدَّ الخيال، وهي جديرة بأنْ يقسم الخالق بها، لأنَّ مجموعات النجوم التي تكوّن أقرب مجرّات السماء إلينا تبعد عنا نحو ٧٠٠ ألف سنة ضوئية، والسنة الضوئية تعادل عشرة ملايين الملايين من الكيلومترات.

وحقيقة أخرى أشار إليها قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾[6] حيث دلت هذه الآية المباركة على أنَّ كل النباتات لها وزن خاص، وقد ثبت أخيراً أنَّ كل نوع من أنواع النبات مركب من أجزاء خاصة على وزن محدد مخصوص، بحيث لو زيد في نسبة بعض أجزائه أو أنقص لتغيَّرات حقيقته، وأنَّ نسبة بعض هذه الأجزاء من الدقة ما نحتاج في معرفتها إلى أدق الموازين التي عرفها البشر.

وهكذا يكون الجانب العلمي للقرآن دليلاً متمماً للجانب البلاغي في إقامة البرهان الجلي والدليل القاطع على كونه كتاب الله الذي لا ريب فيه، ومعجزة هذا الدين الباقية بقاء الدهر.

﴿إِنَّ هذا القرآن يهدي لِلَّتِي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنَّ لهم أجراً كبيراً﴾[7] ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[8].

مجلة البلاغ ، العدد ٨، السنة٢ ،رمضان ١٣٨٨هـ ،ص ٩١-٩٣.

١- سورة القيامة: الآية٧-١٠.

٢- سورة النحل :الآية٦٨.

٣- سورة الحج :الآية :٥.

٤- سورة البقرة: الآية :٢٢٢.

٥- سورة الواقعة، الآية٧٥-٧٦.

٦- سورة الحجر، الآية :١٩.

٧- سورة الإسراء، الآية : ٩.

٨- سورة النمل، الآية :٨٨.

قوانين قطعية

محمد أيوب

لقد خلق الله تعالى الكون وأوجد له نظاماً يضمن بقاءه وديمومته إلى ما شاء تعالى، وسَنَّ له قوانين تحفظ توازنه واستمراره، تنطوي تلك القوانين على قواعد ثابتة ورصينة وشاملة لنواحي الوجود كافّة، فمنها ما اكتشفها الإنسان فصاغها ووضعها حَيّزَ التنفيذ، مستفيداً منها عَبْر استثمارها في مجالات كثيرة مثل العلوم الطبيعية -الفيزياء والكيمياء- وعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع، وكثير من الفنون والصناعات، فاخترع الآلات والأجهزة المختلفة التي ساعدته في تذليل الصعاب وتقليل الجهود فضلاً عن زيادة الإنتاج قياساً بالزمن.

ومن جانب آخر فإنَّ كثيراً من القوانين والقواعد غير مكتشفة، بل غير منظورة بالمرّة منْ قِبَل الناس -باستثناء النزر القليل منهم-، على الرغم من تأثيرها المباشر على حياة الإنسان، سواء على الصعيد الفردي أو الاجتماعي حاضراً ومستقبلاً، كالقوانين التي تبين أثَر السلوك الإنساني على الموجودات، وعلاقة الأمور المعنوية بالمادية، فهي لا تختلف عن القوانين الطبيعية في كونها ثابتة ذات نتائج، خلاف ما يعتقده البعض، فكما أن الفعل يحقق عند استجماعه الشروط والمقدمات اللازمة انفعال في عالم المادة، كذلك القوانين المعنوية تحقق نتائجها مع استجماعها لكل الشروط والمقدمات اللازمة، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة، انظر قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[1]، تراه يشير إلى تأثير الاستغفار والأوبة إلى الله تعالى في الظواهر الطبيعية، فالعبد إذا ما استغفر الله تعالى كان فعله هذا سبباً في نزول المطر وكثرة الذرية ووجود البساتين المزدهرة ونشوء الأنهار.

وكمثال آخَر على ما تقدم قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[2]، فالآيات تبيّن بشكل واضح أنَّ من أسباب قلّة الرزق عدم إكرام اليتيم، والحث والتحريض على طعام المساكين، وأكل الأموال طيبها وخبيثها حلالها وحرامها، وحب الأموال لذاتها لا كونها وسيلة يستعان بها لقضاء الحوائج، والتمتع بما لا معصية فيه لله عز وجل ومساعدة الفقراء، ولعل هذه الأمور هي السبب في حال بعض مَنْ لا يدينون بدين الإسلام من الذين يعيشون في ترف ورفاهية، فالله تعالى رب العالمين أجمعين وقانونه يشمل جميع البشر دون استثناء، كما أشار الإمام الكاظم عليه السلام إلى هذا المعنى في كلامه لهشام والمعروف بـ(رسالة العقل): (يا هشام: قول الله: (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) جرت في المؤمن والكافر والبرّ والفاجر، مَنْ صُنع إليه معروف عليه أنْ يكافئ به..)[3].

وقد أظهرت الأحاديث الشريفة الواردة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام الكثير حول هذا الموضوع ومنها ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: (استنزلوا الرزق بالصدقة)[4]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: (إذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة)[5]، وعن النبي صلى الله عليه وآله قوله: (داووا مرضاكم بالصدقة)[6]، والأحاديث حول هذا الموضوع كثيرة[7].

إنَّ مجمل الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة الواردة في هذا المضمون ليست كلاماً إنشائياً يُراد منه الوعظ والإرشاد فقط، بل هي حقائق واقعية تكوينية وسنن إلهية ثابتة، والسبب في عدم التفات الإنسان إليها هو تضييق دائرة إدراكه بالوجود المادي المحسوس، وعدم إيمانه بتأثير العوالم غير المنظورة، ملتفتاً إلى الأسباب الطبيعية المباشرة فقط، وهذا ما ضيّع عليه الكثير من صنوف البر والخير.

وما يتذكر إلا أولوا الألباب.

١- سورة نوح: الآيات (١٠-١٢).

٢- سورة الفجر: الآيات (١٥-٢٠).

٣- مسند الإمام الكاظم عليه السلام، الشيخ عزيز الله العطاردي، ج١، الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة – الشؤون الفكرية والثقافية، دار الصفوة – بيروت (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)، ج١، كتاب العقل وفضائله، ص٢٣٥.

٤- وسائل الشيعة، الحر العاملي، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٤١٤هـ، ج٩، ص٣٧٢، أبواب الصدقة.

٥- المصدر نفسه.

٦- الفصول المهمة في أصول الأئمة، الحر العاملي، تحقيق وإشراف محمد بن محمد الحسين القائيني، ج٣، ص٢٩، باب٩.

٧- للتفصيل ينظر: الكافي، الكليني ج٢، (باب صلة الرحم، وباب حق الجوار، وباب التزين يوم الجمعة)، ج٦، باب الوضوء قبل الطعام. مكارم الأخلاق، الطبرسي. وغيرها الكثير من كتب الأخلاق.

الحثُّ على الصّدقة

حثَّ القرآن على الصدقة حثّاً لا مزيد عليه، حيث جعل الصدقة (قرضاً لله) وأمر حبيبه المصطفى ﷺ بأخذ الصّدقة التي تطهّر المتصدّق وأمره بالدّعاء له، وأخبر أنَّ الصّدقة تقع في يده سبحانه قبل أنْ تقع في يد الفقير، فعلى المتصدّق أنْ يستحضر كُلَّ هذه المعاني، ومنْ أهمّها أنَّ الصّدقة قرض لله سبحانه قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[1].

ومعلوم أنَّ الثواب الإلهيّ على أعمال العباد مِنّة منه بلا استحقاق مِن العبد، فإنَّ العبد وما يأتيه من عمل ملك صِرْف له سبحانه، لكنَّه اعتبر – شرعاً - العبد مالكاً وملكه عمله، وهو المالك لما مَلَكه وهي مِنّة أخرى، فإذا اختار العبد العمل الصالح فوعده الله ثواباً على عمله وسمَّاه أجراً وجزاءً وهي مِنّة أخرى، ولا يعود أثر العمل في الدنيا والآخرة إلا للعبد قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[2]، وفي الآية حثٌّ بليغ على الإنفاق في سبيل الله، وجعله قرضاً يقرضه العبد لله سبحانه، وهوكريم يردُّ القرض، ليس مثله بل يضاعفه، ويزيد على ذلك الأجر الكريم (وهي الجنة)، وهذا المعنى ورد عن رسول الله ﷺ: (خصلتان لا أحبُّ أنْ يشاركني فيهما أحد: وضوئي، فإنّه من صلاتي، وصدقتي من يدي إلى يد السّائل، فإنها تقع في يد الرّب)[3]، و(كان علي بن الحسين ﷺ إذا أعطى السّائل قبّل يد السائل، فقيل له: لِمَ تفعل ذلك؟ قال: لأنّها تقع في يد اللّه قبل يد العبد)[4]، وقال: (ليس من شيء إلّا وُكّل به ملك، إلّا الصّدقة فإنها تقع في يد اللّه، قال الراوي: أظنُّه يقبّل الخبز، أو الدرهم)[5]. ...قال علي بن الحسين ﷺ: ضمنت على ربّي أنَّ الصّدقة لا تقع في يد العبد، حتّى تقع في يد الرَّب. وهو قوله: ﴿هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقاتِ﴾[6]. ... عن الإمام الصادق ﷺ: إنَّ اللّه يقول: ما من شيء إلّا وقد وكّل به من يقبضه غيري، إلّا الصّدقة فإنّي أتلقّفها بيدي تلقُّفا، حتّى أنَّ الرَّجل ليتصدَّق بالتَّمرة أو بشقّ التَّمرة، فأربيها له، كما يربي الرَّجل فلوه وفصيله، فيأتي يوم القيامة وهو مثل أحد وأعظم من أحد)[8].

١- سورة الحديد، الآية:١١.

٢- سورة آل عمران ،الآية ١٧٢.

٣- جواهر الكلام ، الشيخ محمد حسن الجواهري، ٣٤٤/٢.

٤- وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٤٣٥/٩.

٥- بحار الأنوار، العلامة المجلسي ، ١٢٨/٩٣.

٦- سورة التوبة، الآية:١٠٤.

٧- جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، ٣٤٣/٨.

٨- الوافي، الفيض الكاشاني، ٣٨٧/١٠.

تأملات قرآنية

-٥-

روي عن النبي ﷺ: ((مَنْ عَلَّمَ وَلَدًا لَهُ الْقُرْآنَ قَلَّدَهُ اللهُ قِلَادَةً يُعْجَبُ فِيْهَا الْأَوَّلُوْنَ وَالْآخِرُوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).

(ميزان الحكمة، محمد الريشهري ج٨ ص٣٣٣٣)

تأملات في الحديث:

١- إنَّ الحديث ظاهر في الحث على التربية التي لها أثر في بناء شخصية الإنسان، وبناء الشخصية لا يكون إلا على وفق منهج محدد، وقد ضمن الله تعالى ذلك في القرآن الكريم.

٢- إنَّها دعوة من القرآن في إيجاد علاقة قوية بكتاب الله تعالى على مستو الفرد، والأسرة، والمجتمع.

٣- في الحديث درس مهم للآباء في تربية أبنائهم، من خلال القرآن الذي يُعَلِّمنا الصدق، والخير، والتعاون، والإحسان، ونبذ الصفات المذمومة كالكذب، والخيانة، والظلم، والإساءة، فإذا كان هذا غذاء الأب لابنه فإنَّ ثمار ذلك عظيمة ستكون في الدنيا والآخرة.

٤- إنَّها دعوة واضحة وصريحة للآباء أنْ يتعلموا القرآن ليكون ذلك سبيلاً لهم في تربية أبنائهم، لأنَّه إنْ كان الأب لا يعرف هذه العلاقة، فهل يمكنه أنْ يعلم ولده؟ إذًا هي دعوة للجميع في التعلم، ومن ثم إيصال ذلك للأبناء؛ لنكون أهلاً لعناية الله تعالى.

٥- من آثار هذه التربية والتعليم ذلك الوسام الذي يقلده الابن لأبيه، وما فيه من قرة عين له في الآخرة، وهذه أعظم صدقة جارية له.

نسأل الله أن يوفقنا للعلم والعمل بذلك إنه سميع مجيب.

المعصيـــــة

بين الأسباب الدافعة والآثار الفادحة

من اللافت للنظر أنْ نرى مدى الشمولية والموسوعية التي يتمتع بها النص القرآني، إذ لم يدع صغيرة ولا كبيرة إلا وتحدث عنها بما يخدم المجتمع البشري، ويحقق له السعادة في الدارين، فمن بين المواضيع التي نبَّه عنها القرآن الكريم في أكثر من مرة – والجديرة بالبحث والتأمل– هو موضوع المعصية، وما يترتب على تلك الآفة من آثار وخيمة، تفتك بالإنسان دنيوياً وأخروياً

غفران كامل

قال تعالى محذراً ومنهياً عباده:

- ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1].

- ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2].

الدوافع

لا شك أنَّ هناك دوافع كثيرةً تدفع الإنسان إلى التجاوز عما هو مرسوم له من الحدود الشرعية، ويمكن حصرها بدوافع نابعة من ذات الإنسان، وأخرى تكون خارجية، والأخيرة نقصد بها الشيطان وجنوده -والعياذ بالله-، أما الدوافع الداخلية فتتعلَّق بما يواجه النفس الإنسانية من غرائز وميول وأهواء، وأماني ومطامع ورغبات، تتحول شيئاً فشيئاً إلى ممارسة سلوكيات وعادات متأصلة، فيكون لها تأثيرها الكبير على العقل والمعرفة والحكمة والتصرف السليم، ذلك أنَّها تمنع من التفكر والتروي بكل رأي، أو قول، أو فعل سديد.

فعلى سبيل المثال نجد بعض الذنوب تقترف في وضع الغضب المذموم الذي لا مسوّغ له كالغيبة والنميمة والسبّ والشتم والسخرية من الآخرين، وحتى انتهاك الحرمات، أو قتل النفس البريئة، يقول الإمام علي عليه السلام في هذا الصدد: (الغضب يفسد الألباب، ويمنع من الصواب)[3]، وقال أيضا: (غير منتفع بالحكمة عقل معلول بالغضب والشهوة)[4]، وأيضاً عنه عليه السلام: (الغضب مركب الطيش)[5].

فما كان على الإنسان إلا أنْ يكون في مواجهة مستمرة مع عاديات الرغبات الشديدة الراسخة في نفسه، ومغريات الحياة المعاشة، فنفسه الأمّارة بالسوء من جهة، ومحيطه الموبوء من جهة أخرى يريدان منه أنْ يقع أسير هواه ورغبته، وما أخطر أنْ يعيش الإنسان تحت سلطان هواه، ويسعى لرضاه، ويأتمر بأمره، وينتهي بنهيه عندما لا يرى ولا يسمع سواه، فمثل هكذا إنسان تكون نهايته الخسران والخذلان، قال تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[6]، لذلك سعى الإمام محمد الجواد عليه السلام أنْ يحرر الإنسان من طوق الهوى، فيعيش حراً لا عبداً له، فما الهوى إلا عدوٌّ متبع كما عبر عليه السلام عندما قال: (من أطاع هواه أعطى عدوَّه مناه)[7]، فمستوى تمكُّن الشيطان من الإنسان بحسب مقدار رسوخ الهوى في نفسه، وكأنها نسبة وتناسب ما بين هذا وذاك، ليس هذا فحسب، بل إنَّ الإمام عليه السلام يرى أنَّ تمدد الهوى في روح الإنسان يجلب له المتاعب التي لا حصر لها، فيقع دائماً في منزلقات، لأنه لا يتورع عن عمل الموبقات، لأن الهوى يُشكِّل حاجزاً فولاذياً يمنع العقل من التعقل والتفكير السليم، وهذا عين ما نبه عنه عليه السلام عندما قال: (راكب الشهوات لا تستقال له عثرة)[8]، فالأولى بالإنسان الحاذق أنْ لا يخاطر براحة باله، بل عليه أنْ يجتهد في أنْ يجعل حياته مستقرة هانئة، وهذا لا يقع ما لم تكن له إرادة صلبة، تردع وتصد عاديات الأهواء التي تكون سبباً لكل بلاء.

الآثار

نستقي من السيرة التاريخية والتجربة الإنسانية حقيقة مفادها: إنَّ المعاصي والذنوب والتجاوز على الأوامر الإلهية هي سبب هلاك ودمار المجتمعات البشرية، وقد نوَّه القرآن المجيد على فادح الضرر الذي يلحق بتلك المجتمعات، إذا ما أصر أفرادها على ممارسة المعصية، واقتراف الذنوب بلا توبة نصوح، وبلا تدارك للأمر، أو تصحيح للوضع المعوج، ولنا أنْ نستعرض بعض آثار المعاصي والذنوب:

أولاً: نزول البلاء

وربط القرآن الكريم بين ما يصيب الإنسان-في بعض الحالات- من مصائب وابتلاءات وبين الذنوب التي يقترفها، فهي نتيجة طبيعة لما جنى وكسب، قال تعالى:

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾[9].

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[10].

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾[11].

﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[12].

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾[13].

﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[14].

﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾[15].

وهناك ذنوب عقوبتها معجلة في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾[16]، وأيضاً قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾[17].

وجاء عن الإمام أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام أنه قال: (أما إنه ليس من عرق يضرب، ولا نكبة، ولا صداع، ولا مرض إلا بذنب، وذلك قول اللّه عز وجل في كتابه «ما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ

١- سورة الأعراف: الآية ٣٣.
٢- سورة الأنعام: الآية ١٥١.
٣- جامع أحاديث الشيعة، السيد حسين البروجردي، ج١٣، ص٤٦٦.
٤- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج١، ص ٦٧٥.
٥- المصدر نفسه، ج٣، ص٢٢٦٤.
٦- سورة يوسف: الآية٥٣.
٧- بحار الأنوار، المجلسي، ج٦٧، ص٧٨.
٨- المصدر نفسه.
٩- سورة الأنبياء: الآية١١.
١٠- سورة الحج: الآية٤٨.
١١- سورة الشمس: الآية١٤.
١٢- سورة الشورى: الآية٣٠.
١٣- سورة المائدة: الآية٤٩.
١٤- سورة البقرة: الآية٨١.
١٥- سورة نوح: الآية٢٥.
١٦- سورة الطلاق: الآية ٨.
١٧- سورة الأنعام: الآية٦.

كَثِيرٍ» ثم قال عليه السلام: وما يعفو اللَّه أكثر مما يؤاخذ به)[18]، وعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (ما من نكبة تصيب العبد إلا بذنب وما يعفو اللَّه عنه أكثر)[19]، وعن الإمام الرضا عليه السلام يقول: (كلما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون، أحدث اللَّه لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون)، وعن الإمام أبي عبد اللَّه الصادق عليه السلام قال: كتب رجل إلى الحسين عليه السلام عِظني بحرفين، فكتب إليه من حاول أمراً بمعصية اللَّه تعالى، كان أفوت لما يرجو وأسرع لمجيء ما يحذر)[20].

ثانيا: رفع البركة

إن رفع البركة وقلة النماء هو أثر آخر يترتب على اقتراف الإنسان للذنوب، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[21]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (إذا ظهرت الجنايات ارتفعت البركات)[22]، وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (كان أبي عليه السلام يقول: إنَّ اللَّه قضى قضاء حتمًا ألَّا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها إياه حتى يحدث العبد ذنبًا يستحق بذلك النقمة)[23]، وجاء عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال سمعته يقول: (إنه ما من سنة أقل مطرًا من سنة، ولكن اللَّه يضعه حيث يشاء، إنَّ اللَّه عزوجل إذا عمل قوم بالمعاصي، صرف عنهم ما كان قدرلهم من المطر في تلك السنة إلى غيرهم، وإلى الفيافي والبحار والجبال، وإنَّ اللَّه ليعذب الجُعل في حجرها بحبس المطر عن الأرض التي هي بمحلها بخطايا مَنْ بحضرتها، وقد جعل اللَّه لها السبيل في مسلك سوى محلة أهل المعاصي، قال ثم قال أبو جعفر عليه السلام: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾)[24].

وعن الإمام أبي عبد اللَّه الصادق عليه السلام قال: (إنَّ الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل، وإنَّ العمل السيء أسرع في صاحبه من السكين في اللحم)[25].

ثالثا: ضعف البصيرة

إن الذنوب تحجب البصيرة عن الإنسان، حتى يغدو لا يرى الأمور في وضعها الصحيح ومكانها الطبيعي، إلا بما يتناسب مع ميوله وآرائه وما يهوى، حتى لو كانت تلك الميول منحرفة وغير سوية وبعيدة عن المنطق، فلا يمكن أنْ يجتمع الذنب مع التفكر الصحيح؛ لأن الذنب هو شريك الجهل والعمى والرؤية الفاسدة والاعتقاد الباطل، وهو مفسد للعقل، ويبعده عن الواقع، ويجعله أسيرًا له، جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (مَنْ قارف ذنبًا فارقه عقل لا يرجع إليه أبدًا)[26]، فالذنب يسلب عقل الإنسان، ويوقف حواسه، ويعطل قدراته، ويتدنى به إلى درجة البهيمة، أو يصبح أضل سبيلاً، قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[27]، وأيضاً عنه تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾[28].

رابعاً: قسوة القلوب

كما من المعلوم أنَّ القلب من أعظم ما يسعى به الإنسان سعيه نحو الفلاح الدنيوي والأخروي على حدٍ سواء، من أجل هذا كان الاعتناء بها وتكريمها وتهذيبها مسألة أولية لا مسألة ثانوية، وأول تلك الجوارح التي لها حق مستطال على الإنسان هو القلب؛ لأنه محل نظر الإله، لذلك أراد الإمام محمد الجواد عليه السلام أنْ يسير العبد إلى الله بقلبه لا بقدمه، فيقول عليه السلام: (القصد إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ من إتعاب الجوارح بالأعمال)[29]، ومما يؤسف له أنَّ هذا القلب الذي يصنع الفارق في العمل قد يُبتلى بداء الجمود والقسوة بسبب تراكم الذنوب، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[30]، وأيضاً جاء عنه تعالى: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[31]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب)[32].

١٨- الوافي، الفيض الكاشاني، ج٥، ص٩٩٩.
١٩- المصدر نفسه، ص١٠٠.
٢٠- المصدر نفسه، ج٥، ص٩٩٤.
٢١- سورة الأعراف: الآية٩٦.
٢٢- ميزان الحكمة، ج١، ص٢٥٧.
٢٣- الوافي، ج٥، ص١٠٠٥.
٢٤- المصدر نفسه، ص١٠٠٢.
٢٥- المصدر نفسه، ص١٠٠٣.
٢٦- ميزان الحكمة، ج٢، ص٩٨٧.
٢٧- سورة الفرقان: الآية ٤٤.
٢٨- سورة محمد: الآية ١٤.
٢٩- شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي، ج١٢، ص٤٣٣.
٣٠- سورة الأنعام: الآية٤٣.
٣١- سورة المطففين: الآية ١٤.
٣٢- علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ج١، ص٨١.

الدعـــــاء والذريـــــة

د.مواهب صالح مهدي الخطيب
مسؤولة وحدة التطوير الفكري والمعرفي
جامعة وارث الأنبياء عليه السلام

قال تعالى:
﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾

إنّ للأسرة وظائف حيوية مسؤولة عن رعايتها والقيام بها، ونذكر من ذلك ما يأتي:

١- إنَّها تنتج الأطفال وتمدُّهم بالبيئة الصالحة لتحقيق حاجاتهم البيولوجية والاجتماعية، وليست وظيفة الأسرة مقتصرة على إنتاج الأطفال، فإنَّ الاقتصار عليها يمحو الفوارق الطبيعية بين الإنسان والحيوان.

٢- إنَّها تُعدُّهم للمشاركة في حياة المجتمع، والتعرف على قيمه وعاداته.

٣- إنَّها تمدهم بالوسائل التي تهيّئ لهم تكوين ذواتهم داخل المجتمع.

٤- مسؤوليتها عن توفير الاستقرار والحماية والأمن والحنو على أطفالهم مدة طفولتهم، فإنَّها أقدر الهيئات في المجتمع على القيام بذلك؛ لأنها تُلقِي الطفل في حال صِغَره، ولا تستطيع مؤسسة عامة أنْ تسدَّ مَسدَّ الأسرة في هذه الشؤون.

٥- على الأسرة أنْ تقطع جُزءاً كبيراً من واجب التربية الخلقية والوجدانية والدينية في جميع مراحل الطفولة، فإنَّ فترة الطفولة تحتاج إلى مزيد من العناية والإمداد بجميع الوسائل التي تؤدي إلى نُموّه الجسمي والنفسي، وإنَّ بعض الآراء تقول بأنَّ الوظيفة الوحيدة للأسرة هو إمدادها للأبناء بالمال اللازم لهم، فإنَّ هذا القول قد تجاهل العوامل النفسية المختلفة التي لابد منها لتكوين الفرد الإنساني كالحنان والعطف، والأمن والطمأنينة، فإنَّها لازمة لنموّ الطفل نفسيًا، ويجب أنْ تتوافر له قبل كل شيء.

لقد أكَّد علماء النفس والتربية أنَّ للأسرة أكبر أثَرٍ في تشكيل شخصية الطفل، وأنَّ ما يواجهه الطفل منْ مؤثرات في سنه المبكرة يستند إلى الأسرة فإنَّها العامل الرئيسي في حياته، والمصدر الأول لخبراته، كما أنها المظهر الأصيل لاستقراره، وعلى هذا فإنَّ استقرار شخصية الطفل وارتقائه يعتمد كل الاعتماد على ما يسود الأسرة من علاقات مختلفة كمّاً ونوعاً..... أن اكتشافات علم التحليل أنَّ قيم الأولاد الدينية والخلقية إنما تنمو في محيط العائلة.

جاء في تفسير الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماما﴾[١]، (قال الراغب في المفردات: (قَرَتْ عينه تَقَرُّ سُرّتْ. قال تعالى: ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ وقيل لمن يُسَرّ به قرة عين قال: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾[٣]، وقيل: أصله من (القر) أي البرد فقرت عينه قيل: معناه بردت فَصحّت، وقيل: بل لأنَّ للسرور دمعة باردة قارة، وللحزن دمعة حارة، ولذلك يقال فيمن يُدْعى

١- سورة الفرقان ،الآية ٧٤.
٢- سورة القصص: الآية ٩.
٣- سورة الفرقان، الآية ٧٤.

عليه: أسخن الله عينه، و قيل: هو من القرار، والمعنى أعطاه الله ما يُسكِّن به عينه فلا تطمح إلى غيره انتهى.

ومرادهم بكون أزواجهم و ذرياتهم قرة أعين لهم أنْ يَسُرُّوهم بطاعة الله والتجنب عن معصيته، فلا حاجة لهم في غير ذلك، ولا إربة وهم أهل حق لا يتّبعون الهوى.

و قوله: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[٤] أي متسابقين إلى الخيرات سابقين إلى رحمتك فيتّبعنا غيرنا من المتقين كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ﴾[٥]، وقال: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ﴾[٦]، وقال: ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾[٧]، وكأن المراد أنْ يكونوا صفّاً واحداً متقدماً على غيرهم من المتقين ولذا جيء بالإمام بلفظ الإفراد.

وقال بعضهم: إن الإمام مما يطلق على الواحد والجمع، وقيل: إنَّ إمام جمع آم بمعنى القاصد، كصيام جمع صائم، والمعنى: اجعلنا قاصدين للمتقين متقيدين بهم، وفي قراءة أهل البيت عليهم السلام (واجعل لنا من المتقين إماما)[٨].

روايـــــة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجبرائيل من (أزواجنا)؟ قال: خديجة، قال ومن ذريتنا؟ قال فاطمة، وقرة أعين؟ قال الحسن والحسين عليهما السلام واجعلنا للمتقين إمامًا؟ قال علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهم اجمعين)[٩].

تأملات تربوية:

١- من أهم صفات عباد الرحمن هي طلب الذرية الصالحة.

٢- مسألة تربية الأبناء وإرشاد هم مسؤولية الآباء والأمهات إزاء أطفالهم من أهم المسائل التي أكد عليها القرآن.

٣- الذرية هبة من الله لعباده وقد استخدم القرآن الكريم هذه المفردة في عدة آيات تتحدث عن الذرية مثل:{سورة مريم الآية ٥، سورة مريم الآية ١٩، سورة الأنبياء أية ٧٣، سورة العنكبوت الآية ٢٧ ، سورة إبراهيم الآية ٣٩، سورة الشعراء الآية ٢١، سورة الأحزاب ٥٠، سورة ص٣.....الخ}.

٣-مفردة (ربنا) استخدم في الآية دون غيرها من الصفات الإلهية تأكيدًا على أنَّ (الرب) هو الذي تولى تربية عباده وتعليمهم وهو الذي بيده أنْ يهب لهم ما يدعونه.

٤- الزوج والولد قرة عين للزوجين وزينة لهما.

٥- بعض الذرية إذا نشأ بطريقة جيدة صار للمتقين إمامًا إذ الأسرة تَعُدُّ قادة للمجتمع.

٦ - الهمة العالية في الدعاء والتربية فلم يطلبوا أنْ يكونوا قادة للمسلمين، بل للمتقين الذين هم أعلى رتبة من المؤمنين.

٧- دور الدعاء وأهميته في الحصول على الذرية الصالحة والتوفيق لتربيتهم.

٤- سورة الفرقان، الآية ٧٤.

٥- سورة البقرة، الآية ١٤٨.

٦- سورة الحديد، الآية ١٢١.

٧- سورة الواقعة، الآية ١١.

٨- تفسير الميزان ج ١٥ ص٧٠.

٩- تفسير القمي، علي بن إبراهيم،ج ٢، ص١١٧.

القرآن منهاج حياة

سمير جميل الربيعي

ما من موجود في هذا العالم إلا وله تكوينٌ معيّنٌ يُسيّره نظامٌ معيّنٌ، ويحكمه قانونٌ وسُنّةٌ معيّنةٌ، ولمّا كان الإنسان يعتلي قمة التسلسل الهرمي لتلك الموجودات، باعتبار ما أُودِع فيه من القدرات والقابليات الفذة، وإنه بنيان الله اصطنعه بيديه ونفخ فيه من روحه ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾، مع تلك المؤهلات ينفرد من دون غيره من المخلوقات لخلافة الله في الأرض ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1]، ولكن حتى يكون في هذا المقام المهم والخطير لا بُدَّ أنْ يكون أولاً مُهيَّئاً ومُعَدّاً تمام الإعداد، ليكون على استعداد كامل لحمل الأمانة التي عرضت عليه، وأبَت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وحملَها الإنسان ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ..﴾[2]، ولا بُدَّ أنْ يهيئ له الله سبحانه وتعالى الأرضية الصالحة والمقدمات الصحيحة لإنجاز المهمة، بأنْ ينتقي له أحسن الأنظمة وأكثرها دقّةً ولطافةً، ويختار له أفضل الشرائع وأكملها، ويرشده إلى أوضح سبل الهداية والنجاة، وصولاً به نحو التكامل الإنساني من خلال تدعيمه بالكتب السماوية ولا سيما بالقرآن الكريم الذي هو خاتمها وأفضلها وأكملها، باعتباره الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[3]، وإنه محيط بكل شيء ﴿ما فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[4].

إن القرآن الكريم كتاب الله المعجز المهيمن على جميع الكتب ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[5]، وهو المعيار الصالح الذي تقاس به الحوادث المستجدّة وتوزن به الأحكام، وما من واقعة في هذه الدنيا إلا وله فيها نظروحكم، وما من مسألة تخصُّ الفرد أو الأسرة أو المجتمع إلا وشملتها تشريعاته الكلية العامة، وهذا يعني أنَّ دائرة القرآن تتسع لكل مسائل الواقع مهما تغيَّر أو استُحدِث، ولا عجب حينما يصف الله سبحانه وتعالى القرآن بكرائم صفاته، وبالكيفية الدالة على عِظَم قدره وجليل خَطَره، فيصفه بأنه الكتاب المنزّل ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[6]، وأنه الصراط المستقيم، وقصد السبيل، والخط الواضح المستقيم،

١- سورة البقرة، الآية ٣٠.

٢- سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

٣- سورة فصلت، الآية ٤٢.

٤- سورة الأنعام ، الآية ٣٨.

٥- سورة المائدة، الآية ٤٨.

٦- سورة الأنعام، الآية ٩٢.

وأنه تبيان لكل شيء، وأنه كتاب هداية ورحمة للعالمين، كل ذلك ليدلل على أنه منهاج حياة متكامل للإنسان، ومن الضروري التزامه والتزام أحكامه وتشريعاته، ومن الطبيعي أنْ يكون كذلك، لأنَّ الله جعل لكل أمة شِرعةً ومنهاجاً، وجعل للمسلمين القرآن شِرْعتهم ومنهاجهم، وأمرهم بالتمسك بتطبيقاته والتقيُّد بأحكامه ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾، ومَنْ خالفه واختلف عنه إلى غيره فقد ظلم نفسه وأوردها مورد الهلكة، وبوّأها مُبَوّأ سوء، وأحطّها ثلاث دركات؛ دركة الكافرين، ودركة الظالمين، ودركة الفاسقين، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[٧]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٨]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٩]، إذاً فالجدير بالمؤمن الحقيقي أنْ يتّخذ القرآن المرجِعَ الأول والأساس الرئيسي له في كل شيء، فيصرف عنايته إلى فهمه واستيضاح أسراره، واستيعاب أحكامه واقتباس أنواره، لكي يضمن به صلاح نفسه ويحوز أسباب الرحمة والهداية، وبذلك يضمن سعادته في الدنيا والآخرة، وللإنسان أنْ يستثمر القرآن في مختلف المجالات ولا حراجة في ذلك، فالقرآن مرجع الفقيه، ودليل العالم، وبيّنة الواعظ، وضالّة المؤمن، وحجة المتبصِّر، عنه تؤخذ العلوم الدينية والتشريعية والاجتماعية، ومن إرشاداته ورموزه تُكتشَف أسرار الكون وقوانين التكوين، كما أنَّ التزام القرآن وتطبيق تعاليمه تطبيقاً عملياً يضمن أموراً عِدّة، علاوة على ما ذكرناه آنفاً من هداية ورحمة من الله سبحانه وتعالى يحوز بها المؤمن خير الدنيا والآخرة ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[١٠]، وينالون بها رضوانه ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[١١]، فهو يضمن له سيادة الأخلاق السامية العالية، ويجعلها منهاج حياة في التعايش السلمي في المجتمعات الإسلامية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، وهذه الأخلاق بدورها تبقي الألفة والمحبة والوحدة، وعدم الفرقة بين أبناء المجتمع الواحد، بل ويضمن القرآن أيضاً سيادة روح الحوار والتفاهم بين الأمم، ويدعوها إلى التقارب حتى مع أولئك الذين يتقاطعون معهم في المعتقد قال تعالى: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم)، لأنَّ تعاليمه تأمر المسلمين بترك الاستفزازات بينهم وبين باقي الديانات، والترفّع عن العبثية والضلال، كما أنَّ تطبيقه يضمن اعتماد الناس العلم واتباع الدليل في تبنّي معتقداتهم، ونبذ الخرافات والتهم والأباطيل، ثم أنَّ تطبيق أحكام القرآن تجعل من الفرد المسلم قدوة في سلوكه العملي، فهي تمنعه الغش والخيانة ومخالفة القانون أينما يكون، سواء كان في بيته، أو في مجتمعه، أو في مجتمع غير مجتمعه، ليكون بسلوكه العملي هذا قدوة حسنة لغيره فيحظى باحترام الناس له، وهو ما يعطي انطباعاً جيداً عن تلك الأحكام، وينعكس إيجاباً على احترام الناس لها، وإيمانهم بحقها في التنفيذ والتطبيق.

٧- سورة المائدة، الآية ٤٤.

٨- سورة المائدة، الآية ٤٥.

٩- سورة المائدة، الآية ٤٧.

١٠- سورة النحل، الآية٩٧.

١١- سورة التوبة، الآية ٢١.

الإمام علي عليه السلام
من منظور القرآن الكريم

صادق حق شناس*
ترجمة: حسين محيي الطائي / بتصرف

إنَّ قائد العالم الإسلامي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لم يفخر به المسلمون شيعتهم وسنتهم فقط، بل كل من كانت له معرفة بسيطة به فُتِن فيه، وانبرى يتحدث عن فضله وكرامته وشخصيته، فلفت انتباه الآخرين. وقد اعترف كبار المحققين والمفكرين بعجزهم عن وصف أبعاد وجوده وبيان فضائله، حتى شبلي الشميل رغم زعامته للمدرسة الداروينية، انجذب نحو شخصية الإمام عليه السلام وقال في حقه: (الإمام علي بن أبي طالب، عظيم العظماء، نسخة مفردة لم يرلها الشرق ولا الغرب صورة طبق الأصل، لا قديمًا ولا حديثًا).

بلحاظ ما قد روته الشيعة والسنة لحديث الثقلين عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عن تماثل القرآن وأهل البيت عليهم السلام، فإنَّ المعصوم هو المتخصص لتفسير القرآن، إذ لا يمكن الاعتماد على القرآن دون الرجوع إليه، وسوف نعرض لكم في هذا المقال بعض الشواهد عن تفاسير الشيعة والسنة في وصف الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

لقد أزاح القرآن الكريم في مواضع مختلفة الستار عن خصائص الأئمة عليهم السلام وفضائلهم، بالأخص الإمام علي عليه السلام عدة مرات، ولم ينطق عن أي شخص بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أكثر منه، رغم أنَّه لم يصرّح باسمه، إلا أنَّه صرّح بعناوين وعبارات مختلفة أكثر تأثيرًا من ذكر الاسم نفسه، ذكر ابن عساكر والسيوطي نقلًا عن ابن عباس أنَّ هناك ثلاثمائة آية نزلت في حق علي عليه السلام[1].

١- ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا... يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا... وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[2]. فسَّر بعض علماء السنة هذه الآية بأنها نزلت بحق إيثار علي وأهل بيته عليهم السلام، ونقل جميع علماء الشيعة الأمر نفسه وقد ضمَّنوا التفسير هذا ضمن فضائل علي وأهل بيته عليهم السلام المنقطعة النظير[3]، وإنَّ سبب نزول هذه الآية هو:

١- تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٧٠، الصواعق المحرقه لابن حجر ص ١٩٦، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ج٦، ص٢١٩، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج ٤٢، ص ٣٦٤.

٢- سورة الإنسان، الآية: ٥ و٨ و٩.

٣- الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل، ج٢٥، ص ٣٤٥.

* باحث إيراني من مواليد ١٩٧١، حاز على شهادة البكالوريوس في دراسات الفقه والحقوق الإسلاميين من جامعة الشهيد مطهري، ثم نال شهادة الماجستير في اختصاص علوم القرآن، شغل منصب مدير مؤسسة الأبحاث القرآنية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

(إنَّ الحسن والحسين عليهما السلام مرضا فعادهما الرسول صلى الله عليه وآله في أناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على وُلدك، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لها إنَّ شفاهما الله تعالى أنْ يصوموا ثلاثة أيام فشفيا، فاستقرض علي ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعًا، واختبزت خمسة أقراص على عددهم، ووضعوها بين أيدهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، مسكين أطعموني، أطعمكم الله من الجنة، فآثروه ولم يذوقوا إلا الماء، وأصبحوا صائمين، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف يتيم فآثروه، وجاءهم أسير في الليلة الثالثة، ففعلوا مثل ذلك، فلما أصبحوا أبصرهم رسول الله يرتعشون كالفراخ فقال: ما أشدَّ ما يسوءني ما أرى بكم، فنزل جبريل وقال: خذها يا محمد هنَّأَكَ الله في أهل بيتك، فاقرأ هذه السورة)[٤].

٢- آية المبيت: إنَّ الليلة التي بات علي بن أبي طالب عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله أوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل أني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بحياته؟ فاختار كل منهما الحياة وأحباها، فأوحى الله تعالى إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب عليه السلام، آخيت بينه وبين محمد، فبات على فراشه يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فكان جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل ينادي : بخ بخ، من مثلك يا ابن أبي طالب؟ يباهي الله بك الملائكة، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٥].

٣- آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٦]، نزلت هذه الآية بحق علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقط، وذلك حينما كانوا جميعًا مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة (رض) فدعاهم للدخول تحت الكساء اليماني، فقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: (اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وحامَّتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قالت أمُّ سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ فقال: إنك على خير)[٧]. (وفي رواية عن أنس بن مالك أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمر بباب فاطمة عليها السلام ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر يقول الصلاة يا أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)[٨]، وعن عائشة قالت: كان أحبُّ الرجال إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. تعني الإمام عليّاً عليه السلام، لقد رأيته وقد أدخله تحت ثوبه، وفاطمة وحسناً وحسيناً، ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي)[٩].

وفي الختام ننقل إليكم نصًا عن كاتب وأديب مصري وهو الدكتور طه حسين عن الإمام علي عليه السلام، فيقول فيه: (هو ابن عم النبي، وأسبق الناس إلى الإسلام بعد خديجة، وأول مَن صلى مع النبي من الرجال، وهو ربيب النبي قبل أنْ يظهر دعوته ويصدع بأمر الله. أحسَّ النبي أنَّ أبا طالب يلقى ضيقًا في حياته فسعى في أعمامه ليعينوا الشيخ على النهوض بثقل أبنائه، فاحتملوا عنه أكثر أبنائه وتركوا له عقيلًا كما أحب، وأخذ النبي عليًا فكفله وقام على تنشئته وتربيته، فلما آثره الله بالنبوة كان علي في كنفه لم يجاوز العاشرة من عمره إلا قليلًا، فنستطيع أنْ نقول إنه نشأ مع الإسلام، وكان النبي أشد الحب ويؤثره أعظم الإيثار، استخلفه حين هاجر على ما كان عنده من ودائع حتى ردَّها إلى أصحابها، وأمره فنام في مضجعه ليلة ائتمرت قريش بقتله، ثم هاجر حتى لحق بالنبي في المدينة فآخى النبي بينه وبين نفسه ثم زوَّجه ابنته فاطمة، ثم شهد مع النبي مشاهده كلها، وكان صاحب رايته في أيام البأس. وقال النبي يوم خيبر: (لأعطينَّ الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله). فلما أصبح دفع الراية إلى علي، وقال النبي حين استخلفه على المدينة يوم سار إلى غزوة تبوك: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. وقال للمسلمين في طريقه إلى حجة الوداع: (من كنتُ مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)[١٠].

٤- تفسير الكاشف، ج٧، ص٤٨٣.

٥- سورة البقرة، الآية ٢٠٧.

٦- سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

٧- المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص ١٥٨.

٨- المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص ١٤٦.

٩- ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق ٢: ١٦٣ . ١٦٤ | ٦٤٢.

١٠- علي وبنوه، طه حسين، دار المعارف ج ٢، ص١٥.

التفكّر أحد المناهج القرآنية الذي بدورها يحثّ الإنسان على تمحيص الأمور، ودراسة تفاصيلها وحيثياتها بشكل دقيق، وبالتالي انتفاء الالتباس أو الوهم عنها، وفهمها كما هو مطلوب، ولا تبتعد كثيراً عن هذا القصص القرآنية، إذ أنها تتطلب من القارئ والمستمع لها التفكُّر فيها مليّاً

السيدة رحمة

شريكة الصبر والمعينة على البلاء

فقد ابتغت هذه القصص من خلال العرض الصريح وإشاراته الضمنية لَفْتُ الإفهامِ إلى قصدٍ معيَّن للإفادة منه بشكلٍ عملي، سواء على الجنبة المادية أو المعنوية، ويختلف الأمر كذلك بين ذكر المرأة في القصص القرآني وباقي شخوص القصص الأخرى، فليس بمغيب عن الجميع أنَّ ذكرها يأتي مرة بشكل صريح وأخرى ضمني، وفي كلتا الحالتين تفاصيله مختصرة جداً، وللذِّكر الضمني الحصة الأكبر في ذلك، الأمر الذي يضفي غموضاً شديداً على الشخصية وحياتها، لا سيما الحدث الذي تدور حوله القصة، خصوصاً وإنَّ كتب التأريخ خالية من ذكرها أيضاً، هذا كله يتطلَّب منَّا التفكر ملياً في سِيَر الأحداث لفهم مقصدها جيداً، وعادة تبنى أحداث القصة وفقاً للشخصية القائمة بها، فعلى سبيل المثال عندما جاء ذكر أهل البيت عليهم السلام ومنهم السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بشكل ضمني في سورة الدهر ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[1]، والتي جاءت التفاسير بذكر أحداثها كاملة وفقاً لأحاديث المعصومين عليهم السلام والتي لم تقوم لولا أنها عليها السلام كانت شخصية مؤمنة بالله تعالى عارفة لحقه مما جعلها كما من كان معها يعطون قوتهم إلى السائل ويبقون جياعاً، وضمن سياق القصص القرآني حول حياة نبي الله أيوب عليه السلام جاء ذكر زوجته (رحمة)[2] في جزئية الحنث باليمين بشكل ضمني في قوله عز من قائل: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ* وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[3].

١- سورة الإنسان: الآية ٨.

٢- مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ الطبرسي، ج٥، ص ٤٥٨.

٣- سورة ص: الآيات٤٣،٤٤.

رغد عزيز

وقد أوضحت لنا التفاسير القرآنية مجريات هذا الحدث الذي يمثِّل جزئية معينة من قصة نبي الله أيوب عليه السلام متفقة على أنَّ قَسَمه عليه السلام كان لضرب زوجته السيدة (رحمة) مائة ضربة، إلا أنها اختلفت من حيث السبب الذي قام عليه هذا القسم، والكامن بما استنكره من قولها، وقد جاء فيه عن ابن عباس: (كان السبب في ذلك أنَّ إبليس لقيها في صورة طبيب فدعته إلى مداواة أيوب، فقال: أداويه على أنه إذا برئ قال: أنت شفيتني، لا أريد جزاء سواه، قالت: نعم، فأشارت إلى أيوب بذلك، فحلف ليضربنها؛ وقيل: إنها كانت ذهبت في حاجة فأبطأت في الرجوع فضاق صدر المريض فحلف)[٤]، وفي رواية أخرى عن وهب: (فلما غلب أيوبُ إبليس ولم يستطع منه شيئًا اعترض امرأته، فقال: أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى؟ قالت: نعم، قال: فهل تعرفيني؟ قالت: لا، قال: فأنا إله الأرض، وأنا الذي صنعتُ بصاحبك ما صنعت وذلك أنه عبد إله السماء وتركني فأغضبني، ولو سجد لي واحدة رددت عليه وعليك كل ما كان لكما من مال وولد فإنه عندي، وإنْ شئتِ فاسجدي لي سجدة واحدة حتى أردَّ عليك المال والأولاد وأعافي زوجك، فرجعت إلى أيوب عليه الصلاة والسلام فأخبرته)[٥]، وهناك مآخذ كثيرة حول ما قيل في حق السيدة رحمة، إذ تشير كل من الروايتين إلى ابتلاء السيدة بضعف العقيدة في قدرة الله بشفاء نبيه، ففي الرواية الأولى أنها تشير إلى نبي الله بالاعتراف بمقدرة الطبيب على شفائه، وفي الثانية اعتقادها بوجود إله آخر مع الله عز وجل، ولو رجعنا إلى بعض تفاصيل شخصية هذه السيدة الجليلة القدْر والمستنبطة مما يقع بين أيدينا من روايات وأحاديث تدور حولها نستطيع من خلالها نفي ذلك عنها، ومن ذلك:

نسبها وبيئتها

يعود نسب السيدة رحمة إلى نبي الله يوسف عليه السلام كما يذكر، فقد جاء عن ابن إسحاق: وولد ليوسف من امرأة العزيز أفرايم، وميشا، ورحمة امرأة أيوب)[٦]، كما أنها زوجة نبي من أنبياء الله، وإذا نظرنا لمجمل حياتها نجدها عاشت في بيئة موحدة، بل وأنها كانت قريبة جداً من رسول السماء الأمر الذي جعلها تتغذّى معاني الإيمان في كل تفاصيل حياتها، فكيف لها أنْ تصدِّق بوجود إله للأرض وآخر للسماء؟!

* ذكر ثواب صبرها على لسان خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله حيث جاء عنه: (أيما امرأة أعانت زوجها على الحج والجهاد أو طلب العلم أعطاها الله من الثواب ما يعطي امرأة أيوب عليه السلام)[٧]، وعند قراءة الحديث يتراود للذهن سؤال منطقي مفاده هل يعطي الله تعالى من تعتقد بوجود إلهاً آخَر أو تعتقد بمقدرة المخلوق المطلقة على الشفاء الثواب الجزيل وتجعل منه أسوة حسنة يشير للتأسي بها خاتم الأنبياء؟.

* مؤازرتها للنبي عليه السلام في شدته وإعانته على بلائه، فضلاً عن تحملها ما وقع عليها من هذا البلاء أيضاً، إذ أنها شريكة النبي فيما خلا المرض، فذهاب المال والبنون كان وقعه عليها أيضاً، وعلى الرغم من ذلك كله كانت صابرة ومعينة، إذ يذكر أنها كانت تعمل من أجل توفير قوت يومهم (كانت امرأة أيوب تكتسب له وتعمل للناس وتجيئه بقوته)[٨]، وهذا كله كفيل بإثبات حسن إيمانها بقضاء الله عز وجل واحتسابها البلاء والمشقة في سبيله، كذلك إيمانها بنبوة زوجها وهي تسمع لسانه لهجاً بالدعاء لله تعالى، وكلما اشتد البلاء زاد حمداً على ما أصابه.

وخلاصة القول كثيرة هي الأقوال الواردة في تفسير ما جاء به القرآن الكريم من قصص دارت حول أحداث وأشخاص، وعلينا أنْ نتمعَّن في قراءتها ونركز في معانيها وإشاراتها، وأوثق ما نستند عليه هو ما ورد فيها عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، ففي خصوص قصة السيدة (رحمة) جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: (فأقبلت امرأته معها الكِسرة (قطعة من الخبز) فأقبلت فلما رأته وقد رد الله عليه بدنه ونعَّمه سجدت لله شكراً. فرأى ذؤابتها مقطوعة وذلك أنها سألت قومًا أنْ يعطوها ما تحمله إلى أيوب من الطعام وكانت حسنة الذوائب فقالوا لها: تبيعينا ذؤابتك هذه حتى نعطيك؟ فقطعتها ودفعتها إليهم، وأخذت منهم طعامًا لأيوب، فلما رآها مقطوعة الشعر غضب وحلف عليها أنْ يضربها مائة، فأخبرته أنه كان سببه كيت وكيت، فاغتمَّ أيوب من ذلك فأوحى الله عز وجل إليه ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ فأخذ عِذقًا مشتمِلًا على مائة شمراخ فضربها ضربة واحدة فخرج من يمينه)[٩]، وهنا تبين الرواية حسن إيمان السيدة رحمة وصبرها على البلاء وسعيها لتقديم المعونة لزوجها، كما تبين إخفاقها الذي أغضب زوجها منها، بشكل يوافق العقل والمنطق فبالتالي هي وإنْ كانت بنت وزوجة نبي إلا أنها غير معصومة، لكنها حسنت الإيمان لذلك كانت بعيدة كل البعد عما اتهمت به من فساد في عقيدتها بوحدانية الخالق ومقدرته المطلقة.

إن في مثل هذا القصص القرآني لعبرة كبيرة للمؤمنين، فمن خلال ما تقدم نتعرف على صورة عظيمة مشرقة للزوجة تجاه زوجها، وأنَّ الله تعالى قد حفظ هذا الوفاء والإخلاص والطاعة من زوجة أيوب وذكره في كتابه المجيد ليشير إلى موضوعين مهمين، الأول مقام المرأة وفضلها في التشريع الإلهي في جعلها قدوة للآخرين، والآخر بيان عظمة العلاقة الوثيقة بين الزوجين المؤمنين المتوكّلين على الله تعالى في الشدة والرخاء.

٤- بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج١٢، ص٣٤٠.

٥- المصدر نفسه، ص ٣٧٠.

٦- مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٥، ص٤٥٨.

٧- مكارم الأخلاق: الشيخ الطبرسي، ص٢٠١.

٨- بحار الأنوار، ج١٢، ص٣٧١.

٩- الميزان في تفسير القرآن: السيد الطباطبائي، ج١٧، ص٢١٤.

اللّحـــــن في قراءة القرآن الكريم

عبد الكريم الأنصاري

اللحن: الميل عن جهة الاستقامة، يقال: لَحَن فلان في كلامه، إذا مال عن صحيح النطق[1]، وهو قسمان:

اللحن الجلي

وهو خطأ يطرأ على اللفظ فيخلّ بعُرف القراءة ومبنى الكلمة، سواء أخلّ بالمعنى أم لم يخل، واللحن الجلي قد يكون في الحروف، أو الكلمات، أو الحركات والسكنات.

اللحن الخفي

وهو خلل يطرأ على الألفاظ فيخلّ بالعُرف ولا يخلّ بالمبنى، سواء أخلّ بالمعنى أم لم يخل به، وهو نوعان:

نوعٌ يعرفه عامة القرّاء مثل ترك الإدغام في مكانه، وترقيق المفخّم، وتفخيم المرقّق، ومَدُّ المقصور، وقصر الممدود، وغير ذلك مما يخالف قواعد التجويد، وهذا اللحن محرّم بالإجماع.

نوعٌ لا يعرفه إلا المهرة من المقرئين مثل تكرير الراءات، وترعيد الصوت بالمد والغُنّة، وزيادة المد في مقداره أو إنقاصه ... وغير ذلك مما يخل باللفظ ويذهب برونقه، وهذا اللحن ليس بمحرّم، فهو يحتاج إلى مهارة فائقة، وذوق رفيع، لا يتوافر عند كثيرين، ولكن ينبغي المجاهدة والتمرين لإتقانه.

واللحن الخفي يكون في الحركات، أو الحروف:

أ- في الحركات مثال ذلك:

- نُطق الضمة التي بعدها سكون حركة بين الضمة والفتحة، كما في (كنتم، آمنتم)، ولتلافي ذلك لا بد من مراعاة ضم الشفتين عند كل ضمة بعدها سكون.

- في الضمة التي بعدها واو، فرغم ذلك أنهما متجانسان، غير أنَّ الواو أقوى من الضمة، فتأكلها كلها أو بعضها كما في (إياك نعبدُ وإياك نستعين) لذلك يلزم تحقيق ضمة الدال من غير إشباع، حتى لا تأكلها أو بعضها (الواو) وحتى لا يتولد بعدها واو مدّية.

ب – في الحروف، مثال ذلك:

- أكْل بعض الحروف إذا توالى الحرف، سواء كان بكلمة واحدة كما في (تتمارى) أو في كلمتين كما في (فصل لربك، كيف فعل).

- إشباع الحركات بحيث يتولد حرف مد زائد تتولد بعد الفتحة ألف، كما في (أنعمتَ) فتصبح (أنعمتا) و(تلك) فتصبح (تلكا) ... وهكذا

أو تتولد بعد الكسرة ياء، كما في (مالكِ) فتصبح (مالكي) ... وهكذا.

أو تتولد بعد الضم واو، كما في (الحمدُ) فتصبح (الحمدو) ... وهكذا.

اللحن وعلماء التجويد

إن علماء التجويد كانت دراستهم للأصوات ترتبط بشكل أساسي بمعالجة ما سموه باللحن الخفي، فقد قسموا اللحن إلى قسمين هما: اللحن الجلي: وهو الخطأ الظاهر في الحركات خاصة، وقالوا: بأنه ميدان عمل النحاة والصرفيين. واللحن الخفي: وهو الخلل الذي يطرأ على الأصوات من جراء عدم توفيتها حقوقها من المخارج، أو الصفات، أو ما يطرأ لها من الأحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق، وقالوا: بأنَّ هذا هو ميدان علماء التجويد، وهو يستلزم في نظرهم دراسة ثلاثة أُمور: مخارج الحروف، وصفاتها، وأحكامها التركيبية، وهذه هي عناصر علم التجويد الأساسية، وكان ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) هو صاحب فكرة تقسيم اللحن إلى جلي وخفي، فقد قال أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ): وحدثني الحسين بن شاكر السمسار قال حدثنا أحمد بن نصر، قال سمعت ابن مجاهد يقول: اللحن في القرآن لحنان: جلي وخفي، فالجلي لحن الأعراب، والخفي ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه، وفي بعض المصادر (ترك إعطاء الحروف حقها من تجويد لفظها)[2]، ومن أولئك العلماء الذين ذكروا ما يتعلق باللحن في مؤلفاتهم نذكر:

١- ابن مجاهد

قد تضمن كتاب (السبعة في القراءات) لابن مجاهد معنى الرواية السابقة التي قد تكون في أحد كتبه المفقودة، أو أنّ تلميذه أحمد بن نصر الشذائي تلقفها عن أستاذه مشافهة، فقد قال ابن مجاهد في كتاب السبعة، (وكذلك ما روي من الآثار في حروف القرآن، منها المعرب السائر الواضح، ومنها المعرب الواضح غير السائر، ومنها اللغة الشاذة القليلة، ومنها الضعيف المعنى في الإعراب غير أنه قد قرئ به، ومنها ما تُوهم فيه فغلط به – فهو لحن غير جائز – عند مَن لا يبصر من العربية إلا اليسير، ومنها اللحن الخفي الذي لا يعرفه إلا العالم النحرير)[3].

وكانت هذه الفكرة في تقسيم اللحن قد عرفت في أعمال علماء التجويد منذ مراحله الأولى، وكان مستندهم في ذلك بناء منهج كتبهم وطريقة معالجتهم للظواهر الصوتية، قال أبو مزاحم الخاقاني (ت٣٢٥هـ) وهو معاصر لابن مجاهد في قصيدته مشيراً إلى اللحن[4]:

فـأول علـم الذكـر إتقـان حفظـه
ومعرفــة باللحــن فيــه إذا يجـري
فكـن عارفـاً باللحـن كيمـا تزيلـه
فمـا للـذي لا يعـرف اللحـن من عـذر

٢- أبو الحسن السعيدي

وأشار إلى فكرة تقسيم اللحن أبو الحسن السعيدي (ت في حدود ٤١٠هـ) حتى أنه سمى كتابه (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي)، وقد قال في مقدمته (ينبغي لقارئ كتاب الله عز وجل بعد معرفته باللحن الجلي أن يعرف اللحن الخفي: لأنّ اللحن لحنان: لحن جلي، ولحن خفي).

(فاللحن الجلي هو أنْ يرفع المنصوب، وينصب المرفوع، ويخفض المنصوب والمرفوع، ومما أشبه ذلك، فاللحن الجلي يعرفه المقرؤون النحويون وغيرهم ممن قد شمّ رائحة العلم).

١- مجمع البحرين للطريحي، ص٥٠٩.

٢- المفيد، ص١٠١.

٣- كتاب السبعة، ص٤٩.

٤- انظر: علم التجويد نشأته ومعالمه الأولى – مجلة الشريعة، العدد السادس سنة ١٩٨٠ ص٣٥١.

(واللحن الخفي لا يعرفه إلا المقرئ المتقِن الضابط، الذي قد تلقن من ألفاظ الأستاذ المؤدي عنهم، المعطي كل حرف حقه غيرزائد فيه، ولا ناقص منه، المتجنّب عن الإفراط في الفتحات والضمَّات والكسرات والهمزات وتشديد المشددات، وتخفيف المخففات، وتسكين المسكنات، وتطنين النونات، وتفريط المدات وترعيدها، وتغليظ الراءات وتكريرها، وتسمين اللامات وتشريبها الغنة، وتشديد الهمزات وتلكيزها ...)[٥].

٥- كتاب التنبيه ٤٥-٤٦. وقد طبق السعيدي فكرة اللحن الخفي في كتابه وهو يعالج صوراً نطقية معينة فكان يقول (٤٨): (وذلك لحن غير جائز عند أهل التحقيق) أو يقول (٥٠): (وهو لحن خفي) وانظر أيضاً ص٥١ و ص٥٢.

٣- أبو عمرو الداني

وتحدّث الداني (ت٤٤٤هـ) عن موضوع اللحن الخفي في كتابه (التحديد في الإتقان والتجويد) و (شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني)[٦]، والداني هو الذي نقل لنا الرواية التي تحكي لنا تقسيم ابن مجاهد للحن إلى جلي وخفي كما سبق قبل قليل، وإذا كنا نلاحظ أنّ الداني لم يطل الوقوف عند هذه القضية فإنّ عبد الوهاب القرطبي (ت٤٦٢هـ) قد جعلها أساس كتابه (الموضح في التجويد).

٤- عبد الوهاب القرطبي

يتكون كتاب (الموضح) من ثلاثة أبواب رئيسة، مع مقدمة تتكون من خمسة فصول قصيرة، وقد ذكر المؤلف في أول الكتاب السبب الذي دفعه إلى التأليف فقال: (ولما رأيت الناشئين من قرأة هذا الزمان، وكثيراً من منتهيهم قد أغفلوا إصلاح ألفاظهم من شوائب اللحن الخفي، وأهملوا تصفيتها من كدره وتخليصها من درنه، حتى مرنت على الفساد ألسنتهم، وارتاضت عليه طباعهم، وصار لهم عادة، بل تمكّن منهم تمكين الغزيرة ... رأيت لفرط الحاجة إلى ذلك، وعظم الغناء به، أنْ أقتضب مقالاً يهز عطف الفاتر، ويضمن غرض الماهر، ويسعف أمل الراغب، ويؤنس وسادة العالم)[٧].

٦- التحديد في الإتقان والتجويد، ص٢٢ وشرح قصيدة أبي مزاحم ١٣٦.

٧- الموضح في التجويد، ص١٤٤.

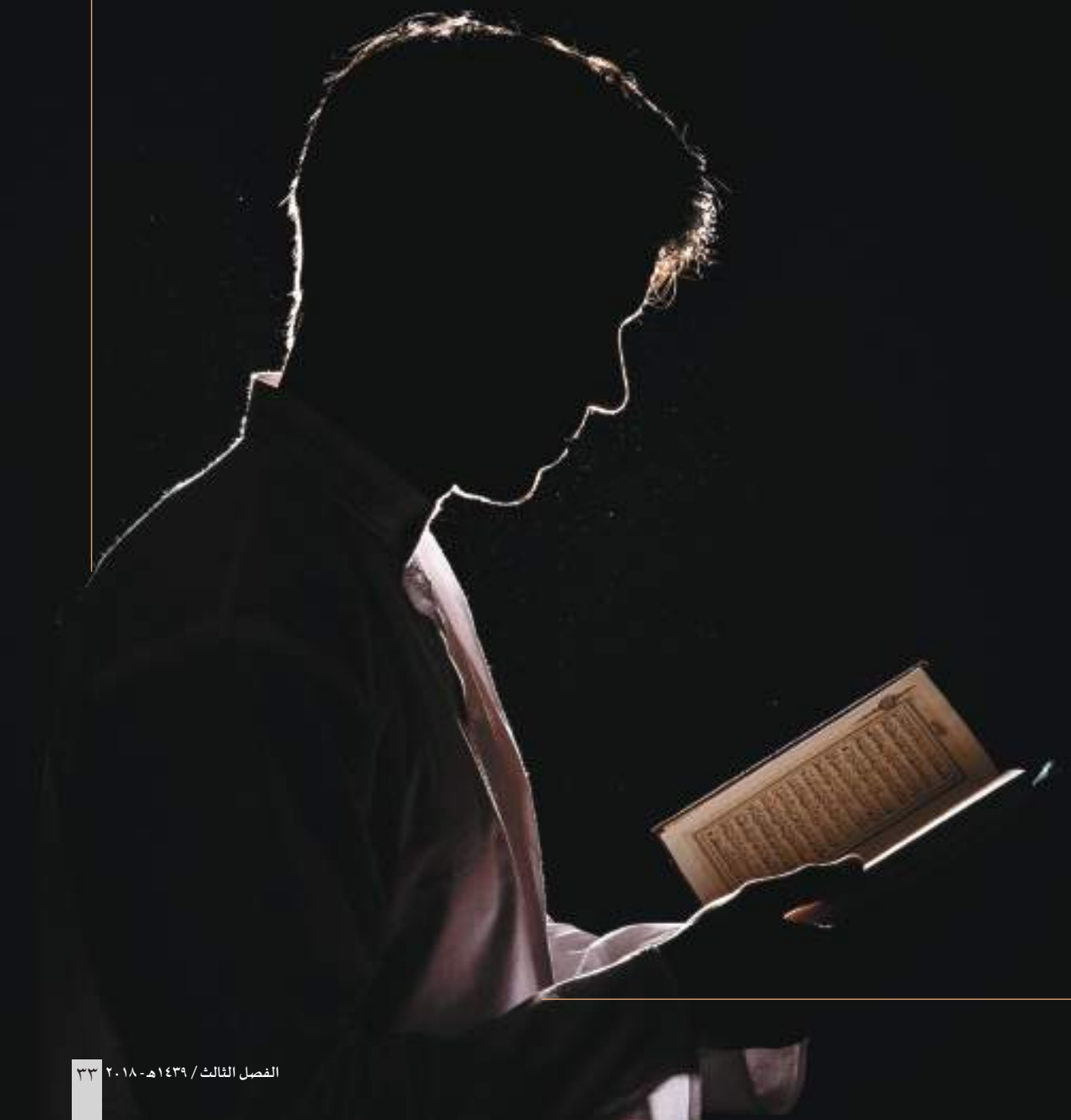

سُبُل قرآنية
تقي من السقم

ميادة قهرمان

وهب الله عز وجل للعباد نِعَماً كثيرة لا تُعدُّ ولا تُحصى، وعلى وفْقَ ما بيَّنته الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، ونعمة الصحة (العافية) أحد أهم الهبات والعطايا الإلهية المجهولة في مدة ديمومتها للأنام، ولا يدرك قيمتها الحقيقية إلا مَنْ فقدها، وهي أيضاً من مواضع الابتلاءات الدنيوية التي يُفتَن بها الكثير من البشر وباختلاف فئاتهم العمرية؛ لذا حدَّثَ عنها نبينا الأكرم ﷺ في قوله: (خصلتان كثير من الناس مفتون فيهما الصحة والفراغ)[2]، وهناك سبل وقائية للصحة البدنية بينتها الآيات الكريمة، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[3]، حيث ورد في تفسير هذه الآية الكريمة: (كان بنو عامر في أيّام حجّهم لا يأكلون الطّعام إلا قوتًا، ولا يأكلون دسما يعظّمون بذلك حجّهم فقال المسلمون نحن أحقُّ بفعل ذلك فنزلت الآية، واعلم أنَّ خصوص السّبب لا يخصُّ العامَّ كما بُيّن في الأصول، فالآية حينئذ عامّة في الأمر بالأكل والشُّرب وعدم الإسراف فيهما وفيه جمع لقواعد الطبّ البدنيّ، وكذا جمع النبيُّ ﷺ في قوله: (المعدة بيت الداء والحِمية رأس الدَّواء وأعطِ كلَّ بدن ما عوَّدته))[4]، ولارتباط الصحة بالمأكل فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[5]، حيث ورد في تفسير الصافي عن معنى الآيتين الكريمتين: (إنما لم ينسب المرض إليه؛ لأنَّ مقصوده بتعديد النعم ولأنَّه في غالب الأمر إنَّما يحدث بتفريط الإنسان في مطاعمه ومشاربه، وفي أوامر الله ونواهيه، كما قال الله سبحانه: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[6]، وهناك سبل أخرى وقائية مثل الاهتمام بالنظافة والطهارة من الأدران عبر الاهتمام بأداء الوضوء قبل الصلاة فقد جاء في قوله تعالى: ﴿فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[7]، والذي بين الطب الحديث أثره في الحفاظ على الصحة البدنية وفق ما جاء في الدراسة : (إن الوضوء يقوي الجهاز المناعي لدى الإنسان، ويمد الجسم بالطاقة اللازمة له طوال اليوم، يعد الوضوء بمثابة شحن لبطارية الجسم)[8]، وجاء أيضًا في تفسير لبعض مفردات الآيات الكريمة عن أثر الحمية في الطعام على ديمومة الصحة، وكما إنَّ المتتبع لمنهج النبي الأكرم ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام يدرك مماثلته لمنهج القرآن الكريم فكلاهما الثقلان اللذانِ يُبصِّران المرء المسلم قيمة إدراك النَّعمِ قبل زوالها وبالأخص العافية البدنية؛ لأنَّها من النعم المجهولة الديمومة التي وصفها النبي الأكرم ﷺ في قوله: (نعمتان مجهولتان الأمن والعافية)[9]؛ لذا فليكن جُلَّ دعاء المؤمنين والمؤمنات عند زوال هذه النعمة المهمة هو التوجه بالدعاء ومخاطبة خير طبيب، وهو الرب عزوجل، ولتكن بصيغة تأديبية تعنى بطلب البراءة من المرض لا صيغة التذمُّر من الابتلاء إذ جاء في الدعاء: (اللَّهمَّ اشْفِ كُلّ مريضٍ)[10].

١- سورة النحل ،الآية ١٨.
٢- روضة الواعظين، الفتال النيسابوري، ص٤٧٢.
٣- سورة الأعراف ، الآية ٣١.
٤- كنز العرفان في فقه القرآن ، المقداد السيوري، ج١، ص ٩٦.
٥- سورة الشعراء ، الآيتان ٧٩ - ٨٠.
٦- التفسير الصافي، الفيض الكاشاني ، ج٥، ص ٣٨.
٧- سورة المائدة ، الآية ٦.
٨- موقع الكتروني: WWW.almrsal.com.
٩- روضة الواعظين، الفتال النيسابوري، ص٤٧٢.
١٠- جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي (قدس سره)، ج٩، ص٧٠.

أخذتني زينة الحياة

زينب حسين

جلست بصمت وعيناي تبحران عبر تلك النافذة الصغيرة إلى الأفق البعيد، حتى سافرتْ أفكاري وطارت تبحث بين ذكريات الماضي الجميل عن أول مرة ركبت فيها الطائرة في مرحلة الشباب، إذ امتزجت في داخلي مشاعر الرهبة مع الشوق إلى المغامرة، وأنا مغمض العينين متمسك بقوةٍ بحزام الأمان.

في ذلك الموقف كاد قلبي أنْ يقف من شدة الخوف، وكان والدي (رحمه الله) يُشجّعني تارة، ويضحك تارة أخرى، لقد مضت تلك الأيام بسرعة ولم تبقَ إلا ذكراها عالقة في الأذهان.

تنبهت لصوت مضيفة الطائرة وهي تقول: (إنها اللحظات الأخيرة للإقلاع، نرجو ربط أحزمة الأمان)، ما هي إلا سويعات وأصل إلى البيت وأنام بهدوء بعد رحلة العمل الشاقّة، وبينما كنت غارقاً في التفكير بين أحداث الماضي والحاضر وإذا بالشخص الجالس بجانبي يقطع تلك السلسلة بسؤاله: يا أخي من أي دولة أنت؟ حدثت نفسي قائلاً: لا، ليس من جديد ففي رحلتي السابقة قد انهارت أعصابي من كثرة الثرثرة، أريد أنْ أقضيها هذه المرة بهدوء فأنا متعب جداً ولا أود التحدث، فقلت له: أنا مثلك عراقي، رَدَّ عليَّ بحرارة: نعم لقد عرفتك منذ البداية، ولكنني أردت أنْ أتأكد أنت صديقي من أيام الدراسة، وشكلك لم يتغير كثيراً سوى بعض التجاعيد في وجهك، وقد غزا الشيب شعرك، وأصبحتَ بديناً، تذكرتُه من أسلوبه الهزلي وطريقة كلامه، فرحّبت به كثيراً وصافحته وقلت له: أعذرني يا صديقي لقد مَرَّ زمن طويل وذاكرتي أصبحت تخونني، فقال: نعم فالعمل وتربية الأولاد ومتطلباتهم هي التي تُسرع في الهرم، لا عليك يا رجل التفتْ قليلاً إلى نفسك، واصبغ ذلك الشيب، واذهب إلى مراكز التجميل والرشاقة وبناء الأجسام، وسترجع شاباً بإذن الله تعالى كما كنت أراك في الإعدادية.

تعالت ضحكاتنا سوية وقلت له: أما عن العمل فهو الذي سلبني كُلَّ طاقتي وجهدي، وأما عن الأولاد فإنني لم أرزق بهم، ولم يشأ الله تعالى أنْ تكون لي ذرية يحملون اسمي ويرثونني بعد مماتي، وأنا راضٍ عن قدري مفوّض أمري إلى الله عز وجل الذي قال: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[1]. فاستغرب كثيراً للأمر خاصة عندما عَلِمَ بأنّي لست عقيماً وليس هنالك أمراض أو عائق للإنجاب، وسألني قائلاً: لمن ستتركُ هذه الثروة والأملاك إنْ لم يكن لك وريث يرثك وقد أهلكت نفسك في تنميتها؟ فزينتك في الحياة ينقصها الأولاد، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[2]، ألم تُجرّب أنْ تتزوج من امرأة أخرى عسى أنْ يرزقها الله سبحانه ولداً منك؟ فقلت له: لا لم أفكر بهذا الأمر، فأنا صابر ومنتظر لأمره سبحانه، فهو وحده من يُقدّر الأرزاق، ويهبها لمن يشاء في وقتها، قال لي: ولماذا هذا الانتظار والعمر قد شارف على الانتهاء وقد أحلَّ الله تعالى لك ذلك بقوله: ﴿انكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾[3]، ستندم إنْ لم تأخذ بكلامي، فالأولاد هم مَنْ يزرعُ الفرحة والابتسامة في البيت، ويُعيدُ لك الحيوية والنشاط، يكونون لك عوناً عند هرمك.

ومرَّت الأيام لأقتنع بفكرة الزواج مرة ثانية وبناء أسرة جديدة، وفعلاً رزقني الباري ولد وبنت سَرَقا عقلي، وأصبحا مهجة قلبي، وصارا شغلي الشاغل، وبتُّ لا أقوى على فراقهما، ولازمتهما وأفضت عليهما من حناني وعطفي، وأغدقت عليهما بالأموال حتى كبروا، وكبرت معهم حتى رأيتهما وقد تخرجا وحصلا على شهادة علمية يخدما المجتمع بها لأصاب بمرض عضال أنهكني وسلب عافيتي، وأرداني طريح الفراش محتاجاً لمن يهتمُّ بي ويعتني بشؤوني، فرأيتهم نِعمَ العون لي في هذا الموقف الصعب فلولا وجودهما في حياتي لبقيت عاجزاً تنهكني العلة وترديني الوحدة.

وذات يوم طرقت الباب امرأة وفتحت لها زوجتي وبدأت ترحب بها أشدَّ الترحيب وكأنني أعرفها، لأن صوتها ليس غريبًا عليّ، ولما دخلت هذه المرأة إلى غرفتي فوجئت برؤيتها إنها زوجتي الأولى، قد أتت بعد أنْ سمعت بمرضي لتسأل عني وتهتم بي وتجازي إساءتي بالإحسان، يا ويلي لقد نسيتها وهجرتها ولم أراعِ شعورها وتركتها وحيدة طوال فترة اقتراني بزوجتي الثانية التي كانت تحثُّني على زيارتها والتواصل معها، وأنْ لا أتركها كالمعلّقة، لكنني كنت أتحجّجُ وأختلق الأعذار وأتهرّب من هذا الموضوع، ولم أحقق أية عدالة بينهما بعد أنْ أخذتني زينة الحياة، فصدق عز وجل حين قال: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[4].

١- سورة الشورى، الآيات٤٩-٥٠.

٢- سورة الكهف، الآية: ٤٦.

٣- سورة النساء، الآية: ٣.

٤- سورة النساء، الآية: ١٢٩.

أداءُ الأمانةِ مطلبٌ قرآنيٌّ

إنَّ الأمانة من الصفات الخلقية الرائعة، وهي فضيلة من الفضائل، والتحدث عنها يعني التحدث عن القيمة الحقيقة التي تعطي من اتسم بهذه الصفة النبيلة من الرفعة ما يسمو به، فهو كالعملة النادرة من حيث القيمة والأهمية في كل زمانٍ ومكانٍ، و يحظى بالاحترام والتقدير وتكسوه المهابة دوما.

عامر عزيز الأنباري

لماذا نحتاج إلى الأمانة؟

إنَّ في أداء الأمانة تحقيق للانسيابية الطبيعية لتسيير الأمور الحياتية، وينعكس من خلالها الوجه الناصع للعلاقات الإنسانية السليمة، وبتعرُّضها للصَّدْع تنعدم الثقة، ويصبح التعامل السليم بين الناس أمراً مستحيلاً، فضلاً عما تسببه من هدر للممتلكات والطاقات، وتحطيم للبُنى الاقتصادية وإثارة للمشاكل الاجتماعية، ولا أدلَّ على ذلك مما يشهده واقعنا العراقي من مرارة، وما تسببته خيانة الأمانات من مشاكل مستعصية تخيّم على الواقع.

إنَّ الأمانة جزءٌ لا يتجزأ من الفطرة الإنسانية، والإنسان بطبيعة نشأته التي جُبل عليها وهو أول من تصدّى لحملها، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1] وتخلُّفه عن حفظ الأمانة فيه ظلمٌ لنفسه، وجهلٌ لقيمتها العليا، ولقد أعطى القرآن الكريم - بغية تهذيب السلوك الإنساني- للأمانة مساحة واسعة وأولوية من التأكيد، وهي تتمثل في:

• **أمانة المرء مع الخالق (جل وعلا):** إنَّ أعلى مستويات الأمانة تتجسد بدور الأنبياء والرسل فيما حمَّلهم الله تبارك وتعالى من أمانات، وأمرهم بإيصالها إلى الناس، والعمل بها من غير زيادةٍ أو نقصان، أما ما هو دون ذلك فهو التزام سائر العباد بما أمرهم تعالى من فرائض وأحكام وتعاليم، فالعبد مؤتمن على الطاعة والتسليم لله، وأنْ يكون صادقاً في أداء ما عليه بإخلاص، فهي – أي الفرائض والعبادات- قد تكون مما لا يعلمه إلا الله، فعليه الإخلاص بالنية لأنْ تكون لله وحده، وأنْ لا يشوبها الأغراض والمصالح الدنيوية، ولا ينتابها الرياء وادعاء التقوى، فالإخلال بها يؤدي بالمرء إلى ما لا يحمد عقباه، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[2].

• **أداء الأمانة مع الناس:** يحثُّ القرآن على أداء الأمانة إلى أهلها على أنْ لا ينقص منها شيئاً، والأمانات بنوعيها سواء كانت ماديةً، مما هو متعارف عليه من أخذ وعطاء وتعامل مادي يتصل بشؤون الحياة، أو معنوية كعهد أو رسالة أو ميثاق، فنقضه أو عدم إيصاله وتأديته بالشكل المطلوب إنما هو خيانة، فالعهود مقرونة بالأمانات كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[3]، وما تجدر الإشارة إليه أنَّ الإسلام لا يفرّق في واجب أداء الأمانة وردّها إلى صاحبها، سواء أكان مسلماً أم غير مسلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾[4]، (وهذه أحكام شرعية، وليست أخلاقية، والإلزامية لا استحبابية، لأنَّ الأمانة لها حكم خاص، قال صاحب الجواهر في باب الوديعة: يجب رد الوديعة، ولو كان المودع كافرًا)[5]، كما ورد عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام قوله: (عليكم بأداء الأمانة، فو الذي بعث بالحق محمّدًا نبيًّا لو أنَّ قاتل أبي الحسين عليه السلام ائتمنني على السيف الذي قتل به أبي لأديته إليه)[6].

كيف نختار المؤتَمِن؟

من المؤكَّد أنَّ مَنْ يُؤتمن يجب أنْ تتحقق فيه من المواصفات ما تجعله مؤهلاً لحمل الأمانة، والقرآن فيه الكثير من الإنصاف والثناء على من يؤدّي الأمانة إلى أهلها، فهو (جل وعلا) يثني على مَنْ يؤدي الأمانة ولو كان كتابياً ويذمُّ مَنْ يخونها، فهو لا ينفي أنَّ منهم – أي أهل الكتاب - من يردُّ الأمانة كما ينبغي وهو أمر حَسَن ومنهم عكس ذلك، يقول تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾[7]، وهذا الشاهد القرآني يجرُّنا إلى أنَّ أداء الأمانة قد يكون لدى مَنْ لا يتفق معك في المعتقد، ولنا أنْ نتساءل عن مواصفات مَنْ يمكن أنْ نطمئن إليه، ومَنْ هو أهل للحفاظ على الأمانة؟ وللإجابة عن ذلك نقول:

• **يجب أنْ يكون عاقلاً:** إنَّ القرآن الكريم في مواضع متعددة يجعل العقل ميزاناً للمحاججة والاستدلال، فينبغي أنْ تكون سمة العقل متوافرة لدى مَنْ نختاره لحفظ الوديعة، ولا يؤتمن غير العاقل كالمجنون أو السفيه، والسفيه ليس كالمجنون فلديه الإمكانية على التمييز إلا أنه (يصرف أمواله في غير الأغراض الصحيحة عند العقلاء، وبكلمة إنَّ السفيه هو الذي يُعَدُّ في نظر العُرْف مبذراً، فيهمل أمواله ويضعها في غير مواضعها)[8].

• **لا يؤتمن الظَّلوم الجهول:** طالما يؤكد القرآن الكريم أنَّ الإنسان بما أودع من مواهب هو سيد الموجودات على الأرض بما أوتي من العقل والإرادة

١- سورة الأحزاب ، الآية ٧٢.

٢- سورة النساء ،الآية ١٠٧.

٣- سورة المعارج،الآية ٣٢.

٤- سورة النساء،الآية ٥٨.

٥- : فقه الإمام الصادق، الشيخ محمد جواد مغنية، ج٤، ص ٢٠٣ .

٦- المصدر نفسه.

٧- سورة آل عمران ،الآية ٧٥.

٨- فقه الإمام الصادق، محمد جواد مغنية، ج٥ ، ص٩٤.

والفطرة السليمة، وانحداره وراء الشهوات والميول الشيطانية يسفُّ به فيكون ظالماً لنفسه جهولاً بما وهبه الله من الامتيازات، وأمثال هؤلاء من المنحرفين لا يُطمَئَنّ لهم مطلقاً، وإنما ينبغي اختيار ذوي التقوى والصلاح، والمعروفين بالإنصاف والعدالة.

• **المنافق لا يؤتمن في شيء:** إنَّ القرآن الكريم ينعت المنافقين بأخسّ الصفات وأسوئها، ويخبرنا عن سوء منقلبهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[٩]، ويصف النبي الأكرم ﷺ: المنافق بأنه: (إذا ائْتُمِنَ خان، وإذا حدّث كذب، وإذا وَعَدَ أخلف)[١٠]، مما يدعو إلى الحذر ممن عُرِف بالنفاق، فهو لا يصح أن يُوثَق به على أيّ شيء.

• **المجرب بالخيانة لا يُجرب:** إنَّ الله تعالى لا يرضى لعباده أنْ يكونوا سُذّجاً أو أنْ يُحتال عليهم أيٌّ كان وكيفما كان، ولو كان الشيطان نفسه ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[١١]، إنَّ (المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف)[١٢] وبكُلّ ما تعنيه القوة من معانٍ، وأحدها قوة الشخصية وحسن التصرف، فليس من العقل أنْ نجربّ مَنْ خان ما ائتمن عليه ثانية و(المؤمن لا يلدغ من جحرٍ مرتين)[١٣].

• **القوي أولى بالائتمان:** جاء في النص القرآني في قصة موسى عليه السلام وصف لطيف لخير من يُستأجر أو يُؤتمن على وديعة: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾[١٤]، وكما أسلفنا فالقوة تتضمن معانٍ عدّةٍ، قد يكون أحدها ما يتوافر لدى المرء من خبرة وملكات ومواهب شخصية قد لا يحظى به غيره، وهذا النمط من الناس ممن تجتمع فيهم هاتان الخِصْلتان (القوة والأمانة) هم أولى مَنْ نختارلودائعنا.

• **الصادق أفضل مَنْ يؤتمن:** إنَّ خير أنموذج بشري قد اختاره الله للناس كافة هو المصطفى ﷺ، وقد عرف في قومه بالصادق الأمين، فكان الصدق قرينه في كل شيء، وكان صدقه من الحجج الدامغة على أمانته في حمل الرسالة: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[١٥]، والله يدعونا دوماً إلى أنْ نكون مع الصادقين، مع محمد وآله الطاهرين إلى يوم الدين، فهم أفضل مَنْ يُؤتمن على حمل الرسالة وهداية الخلق ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[١٦]، فالصادق هو أفضل من نأتمنه على ودائعنا.

٩- سورة النساء، الآية ١٤٥.

١٠- الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٢٩١.

١١- سورة الحجر، الآية ٤٢.

١٢- صحيح ابن حبان، ابن حبان، ٢٨/١٣.

١٣- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٣٤٦/١٩.

١٤- سورة القصص، الآية ٢٦.

١٥- سورة الشعراء، الآية ١٠٧.

١٦- سورة التوبة، الآية ١١٩.

نبيُّ اللّه يعقوب عليه السلام

القسم الثاني

وصية نبي الله يعقوب عليه السلام

الوصية كما هو معروف هي إبراء ذمة، إرجاع حق، وصلة رحم، وعمل معروف، ووصل الجيل السابق بالجيل اللاحق، وليس هي كما يفهمها الناس على أنها آخر ما يكتبه الإنسان ويعيش باقي حياته على هامش الحياة بانتظار الموت. ثم إن الوصية تذكرة لحياة أخرى قادمة يعي الإنسان علاقته بالآخرين ويعزز صلته بالحق وطريق الصواب، فيقف وقفة صدق وإقرار وبين في وصيته ما لربه وما للناس وما لورثته وما له وما عليه وما على وصيه من أعمال وحقوق ومستحقات. وأهم ما يكتب في الوصية الإقرارات الحقة وبوصي الورثة بإتباعها وعدم التفريط بالمبادئ والمعتقدات، ونبي الله يعقوب عليه السلام عندما قارب الموت كانت له وصية على نحوين:

الأول: أوصى بنيه أن لا يموتوا إلا وهم مسلمون، فإن آباءه مضوا مسلمين، كما قال تعالى: ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ فأجابوا بأنهم يعبدون الله تعالى ويموتون على عقائدهم وكما قال تعالى بياناً عن لسان حالهم: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1].

الثاني: التصريح والإشارة إلى الوصي الذي يقوم مقامه من بعده، كما فعل آباؤه من قبل فإن آدم أوصى إلى شيث، ونوح إلى سام، وإبراهيم إلى إسماعيل، وإسماعيل إلى إسحاق، وإسحاق إلى يعقوب، ويعقوب إلى يوسف، وشعيب إلى موسى، وموسى إلى يوشع، ويوشع إلى داود، وداود إلى سليمان، وسليمان إلى آصف، وآصف إلى زكريا، وزكريا إلى عيسى، وعيسى إلى شمعون، وشمعون إلى يحيى، ونبينا محمد المصطفى صلى الله عليه وآله إلى أوصيائه وأولهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم الحجة بن الحسن عجل الله فرجه.

١- سورة البقرة، الآية: ١٣٣.

تحريم نبي الله يعقوب عليه السلام

إن نبي الله يعقوب عليه السلام حرّم بعض الطعام على نفسه؛ لسبب اختلف المفسرون في تحديده فمنهم من قال: (إن يعقوب كان يصيبه عرق النساء، فحرم على نفسه لحم الجمل، فقالت اليهود: إن لحم الجمل محرم في التوراة ..)[2]، وقال آخر: (إن إسرائيل كان إذا أكل لحوم الإبل هيج عليه وجع الخاصرة، فحرم على نفسه لحم الإبل، وذلك من قبل أن تنزل التوراة، فلما أنزلت التوراة لم يحرمه ولم يأكله)[3]، ومنهم من قال: (إن نبي الله يعقوب نذر إن شفي من مرض أصابه يحرم بعض الطعام على نفسه، فحرم أكل لحوم الإبل وألبانها. وقيل: العروق، وكان به عرق النساء فنذر إن شفي أن يحرم على نفسه أحب الطعام إليه وكان ذلك أحب إليه فحرمه)[4]، إلى غير ذلك من الأقوال، ويمكننا أن نقول الآتي:

١- إن التحريم جاء قبل أن تنزل التوراة، والدليل الآية الشريفة التي تصرح بذلك: فقال عز من قال: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ..﴾[5].

٢- لمّا نزلت التوراة لم تحرم لحوم الإبل، وإن ادعاء بني إسرائيل في تحريمها في التوراة غير صحيح، وإن التصريح بذلك جاء في ذيل الآية الشريفة: ﴿.. قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، ردا عن زعم أن هناك تحريماً وقد ذكر في التوراة.

٣- ويستفاد من الآية الشريفة أن كل المطعومات كانت حلًّا لبني إسرائيل.

٢- تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ج١ ص١٠٧.

٣- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، ج١ ص١٨٤..

٤- ينظر عمدة القارئ، العيني، ج١٨ ص١٤٧.

٥- سورة آل عمران، الآية :٩٣.

بكاء نبي الله يعقوب عليه السلام

طال بكاء نبي الله يعقوب عليه السلام وحزنه بسبب فقده نبي الله يوسف عليه السلام الذي استمر سنوات طوال وأدى إلى كفّ بصره، وقد عُدّ من البكّائين الخمسة وهم: (آدم ونوح ويعقوب وفاطمة وعليّ بن الحسين زين العابدين عليهم السلام)، لكثرة بكائه، وهذا البكاء أثار جملة من التساؤلات، منها: إنه نبي مرسل وأن البكاء فيه نوع من الاعتراض وعدم الرضا. وهذا التساؤل خلاف ما جاء في سيرة الأنبياء والأولياء والصالحين، فإنه مباح بل يُندب له كما هو واضح في الروايات، وما صدر عن الرسول الأعظم وآله عليهم السلام، وكذلك ما ورد على لسان الأنبياء والمرسلين (صلوات الله عليهم وعلى نبينا وآله)، وأعظم البكاء ما كان في خشية الله تعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ألا ومن ذرفت عيناه من خشية الله كان له بكل قطرة قطرت من دموعه قصر في الجنة مكلّلا بالدر والجوهر، فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ..)[6]، وفي مناجاة نبي الله موسى عليه السلام، قال: (إلهي فما جزاء من دمعت عيناه من خشيتك؟ قال: يا موسى أقي وجهه من حر النار وآمنه يوم الفزع الأكبر)[7]، و(بكاء شعيب في محبة الله تعالى، فإنه بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمي، فرد الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره، فلما كانت الرابعة أوحى الله عز وجل إليه يا شعيب إلى متى يكون هذا أبدا منك، إن يكن هذا خوفاً من النار فقد أجرتك، وإن يكن شوقاً إلى الجنة، فقد أبحتك. فقال: إلهي وسيدي أنت تعلم أني ما بكيت خوفا من نارك ولا شوقا إلى جنتك، ولكن عقد حبك على قلبي فلست أصبر أو أراك، فأوحى الله إليه: أما إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا، سأخدمك كليمي موسى بن عمران)[8]، و(بكاء النبي صلى الله عليه وآله على ولده إبراهيم وهو يقول: القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يُسخط الرب..)[9]. وعلى كل حال فإن بكاء نبي الله يعقوب عليه السلام على ولده يوسف لا بأس به.

٦- الأمالي، الشيخ الصدوق، ص٥١٧.

٧- روضة الواعظين، الفتال النيسابوري، ص٤٥١.

٨- ينظر الجواهر السنية، الحر العاملي، ص٣١.

٩- ينظر زبدة البيان في أحكام القرآن، المحقق الأردبيلي، ص٤٠١.

الذكرى السنوية لاستشهاد الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام
٢٥/رجب/١٤٣٩هـ